

**البلاغة والخرافة في عدول اسم الفاعل**

**عن التنوين إلى الإضافة**

---

---

د/ محمد سامي عبد السلام حسائين

**اسم الكتاب:** البلاغة والخرافة في عدول اسم الفاعل عن التنوين إلى الإضافة  
**المؤلف:** د. محمد سامي عبد السلام  
**الناشر:** بورصة الكتب للنشر والتوزيع  
**التجهيزات الفنية:** القسم الفني بالدار  
**تصميم الغلاف:** النخبة للدعم الفني وخدمات النشر



٢٥ شارع شريف- القاهرة

Email: adel.metwaly69@yahoo.com

Email: Borastelkotb@gmail.com

٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩ - ٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣

رقم الإيداع: ٢٠١٥/٢٥٥١٧

الترقيم الدولي: ٧-١٦-٧٩٧-٩٧٧-٩٧٨

محمولة  
جميع حقوق

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية- دار الكتب المصرية

---

عبد السلام، محمد سامي.  
البلاغة والخرافة في عدول اسم الفاعل عن التنوين إلى الإضافة/ محمد  
سامي عبد السلام.- القاهرة: بورصة الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.  
١٥٠ ص؛ ٢٠ سم.  
تدمك: ٧-١٦-٧٩٧-٩٧٧-٩٧٨  
١- البلاغة العربية.  
٢- اللغة العربية-النحو.  
أ- العنوان.

**البلاغة والخرافة**  
**في**  
**عدول اسم الفاعل عن التنوين إلى الإضافة**

د . محمد سامي عبد السلام حسانين

كلية الآداب - جامعة المنيا



الطبعة الأولى ٢٠١٦



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

(النحل: ٤٤)



...

إليكِ وقد مَضَى من البعادِ

ما يَجْمَعُ الشوقُ بيننا

وعُدتُ أعشقُ السهرَ لرؤياكِ

وأهوى النومَ لعلِّي أراكِ

أعيشُ . . . وفي كلِّ جميلٍ

مَلَحْتُ من مُحياكِ

إلى فيضِكِ أمِّي " سعادُ "

لطفٌ من الرحمنِ والاكِ





## تنبيه

أثناء تصفحي الكتب المنشورة إلكترونياً وجدتُ بحثاً بعنوان (اسم الفاعل بين التنوين والإضافة في القرآن الكريم - دراسة دلالية) وهو بحث مكتوبٌ في ٤٢ صفحة ، فاستوقفتني هذا البحثُ لأن الفصل الأول من رسالتي للماجستير هو (العدول عن تنوين اسم الفاعل العامل) ومكتوبٌ في ٨٨ صفحة ، وعنوان رسالة الماجستير (العدول إلى التركيب الإضافي في القرآن الكريم - دراسة بلاغية) وأخذتُ أتحقق الأمر ، فتوصلتُ إلى مايلي:

١- البحث الذي وجدته عنوانه (اسم الفاعل بين التنوين والإضافة في القرآن الكريم - دراسة دلالية) بحثٌ مقدّمٌ من د/ إسلام محمّد عبد السلام (أستاذ النحو والصرف المساعد ، المعهد العالي للدراسات النوعية بالهرم ، قسم اللغات والترجمة، [Islamm\\_abdelsalam@yahoo.com](mailto:Islamm_abdelsalam@yahoo.com)) منشور في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) المجلد الثاني عشر ، العدد الثاني ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م . ويمكن تحميل هذا البحث من خلال كتابة (جامعة الملك فيصل "اسم الفاعل ٢٠١١") أو الرابط الآتي :

[https://apps.kfu.edu.sa/sjournal/ara/sja\\_Content.t.asp?sjid=1&issueid=64](https://apps.kfu.edu.sa/sjournal/ara/sja_Content.t.asp?sjid=1&issueid=64)

وقد كانت طباعة رسالة الماجستير (العدول عن التركيب الإضافي في القرآن الكريم ) سنة ٢٠٠٦م وتم إيداعها في مكتبة جامعة المنيا ونشر ملخص لها على الانترنت من عام ٢٠٠٦م ومن الممكن الاطلاع على ملخص الرسالة على الانترنت من خلال كتابة: (جامعة المنيا "العدول إلى التركيب الإضافي") أو الرابط الآتي:

[http://srv4.eulc.edu.eg/eulc\\_v5/Libraries/Thesis/BrowseThesisPages.aspx?fn=PublicDrawThe&BibID=10914973](http://srv4.eulc.edu.eg/eulc_v5/Libraries/Thesis/BrowseThesisPages.aspx?fn=PublicDrawThe&BibID=10914973)

ورسالة الماجستير مقدّمة منّي د. محمد سامي عبد السلام حسانيين، وأشرف عليها كل من : أ.د. أحمد عبد المجيد هريدي ، أ.د. صفوت عبد الله الخطيب (كلية الآداب، جامعة المنيا) وناقشها كل من : أ.د. حسن عبد الجواد طبل (دار العلوم ، جامعة القاهرة) أ.د. عمر عبدالواحد (كلية الآداب، جامعة المنيا)

٢- من خلال قراءة بحث د.إسلام وجدتُ الآتي :

أ- التشبه بين بحث د.إسلام والفصل الأول من رسالة الماجستير :

● التشابه في العنوان والموضوع ؛ فعنوان بحثه (اسم الفاعل بين التنوين والإضافة في القرآن الكريم - دراسة دلالية) وقد كان عنوان رسالة الماجستير (العدول إلى التركيب الإضافي في القرآن الكريم دراسة بلاغية) والفصل الأول منه : (العدول عن تنوين اسم الفاعل العامل) أي أن الفصل الأول من رسالة الماجستير هو : العدول عن تنوين اسم الفاعل إلى الإضافة في القرآن الكريم ، وموضوع كلا البحثين واحد ، فكلاهما يبحث عن دلالة اسم الفاعل مضافًا ومنوّنًا في القرآن الكريم.

● التطابق في النتيجة : كانت نتيجة الدراسة في الفصل الأول من الماجستير أن عدول اسم الفاعل عن التنوين إلى الإضافة لغرض بلاغي هو إفادة دلالة الثبوت والاستمرار وليس لمجرد التخفيف اللفظي ، وقد ذكر د.إسلام هذه النتيجة بعينها نتيجة لبحثه، وجعلها فائدة بحثه في كل جزئيات البحث (اسم الفاعل بين التنوين والإضافة في القرآن الكريم) وسيوضح ذلك من خلال جدول مقارنة بين نصوص في رسالة الماجستير المطبوعة في

٢٠٠٦ ونصوص بحث د.إسلام المنشور في ٢٠١١

- اتبع د.إسلام في طريقة عرض الأفكار وتحليل الآيات الطريقة نفسها الموجودة في الفصل الأول في رسالة الماجستير ، وهي طريقة ذكر اسم الفاعل كعنوان جزئي ثم سرد الآيات التي ورد فيها هذا الاسم وتحليلها ، وإن كان ترتيبه لأسماء الفاعل ترتيباً وفق ترتيب السور التي ورد فيها ، أما ترتيب أسماء الفاعل في رسالة الماجستير كان هجائياً بعد تصنيفها لمجموعات وفق الغرض البلاغي للعدول.

#### ب - الاختلاف بين بحث د.إسلام ورسالة الماجستير:

- اختلف بحث د. إسلام عن الفصل الأول من رسالة الماجستير في أسلوب تحليله للآيات واستشهاده بعدد من المراجع الأخرى .
- لم يذكر د. سلام في بحثه كل أسماء الفاعل المضافة في القرآن الكريم والتي درستها رسالة الماجستير ؛ مثل (آتي ، حمالة ، محيي ...) وقد أشار إلى ذلك قائلاً: " فهذا البحث محاولة لدراسة معاني اسم الفاعل في القرآن الكريم في حالتي التنوين والإضافة ، وأودّ أن أشير إلى أنه ليس درساً إحصائياً لكل صيغ اسم الفاعل في القرآن الكريم، وإنما هو دراسة دلالية لبعض النماذج لإلقاء الضوء على تلك الصيغة في سياقها اللغوي" (الصفحة ٩، صفحة ١٨١ من المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل ) ولذلك أيضاً لم يذكر د.إسلام في بحثه - أحياناً - كل مواضع اسم الفاعل المدروس ، مثل عدم ذكر (حاضرة البحر) والاقتصار على (حاضري المسجد) .
- كما درس د.إسلام في بحثه عدداً من أسماء الفاعل التي لم ترد مضافة في القرآن الكريم ، وهي (تابع ، كاظمين ، أمين ) وليست هذه الأسماء مدروسة في رسالة الماجستير ؛ لأنها تدرس أسماء الفاعل التي جاءت مضافة فقط أو جاءت مضافة وغير مضافة في سياقات أخرى، وبذلك

جاءت في كلتا الدراستين هذه الأسماء (مالك ، جاعل ، ملاق ، طارد ،  
مخرج ، فالح ، حاضر ، جامع ، متخذ ، ظالم ، خالق، محلي ، تارك ،  
ضائق ، ذائقة ، باسط) .

ج- نصوص تؤكد الشبه بين بحث د.إسلام ورسالة الماجستير:

وهناك سطور بعينها توضح مدى التقارب بين الفصل الأول من رسالة  
الماجستير المطبوعة سنة ٢٠٠٦ وبحث د.إسلام المنشور سنة ٢٠١١ أذكرها  
في هذا الجدول للمقارنة :

نصوص من الفصل الأول (العدول عن تنوين اسم الفاعل العامل) من رسالة الماجستير المقدمة من د. محمد سامي عبد السلام والمطبوعة سنة ٢٠٠٦، جامعة المنيا

نصوص من بحث د. إسلام محمد عبد السلام المنشور سنة ٢٠١١ في مجلة الملك فيصل العلمية.

١- فكرة البحث وهدفها والبدء من نقد مقولة تراثية :

١- فكرة الفصل الأول من الرسالة وهدفها والبدء من نقد مقولة تراثية :

والواقع الذي أنطلق منه في بحثي هذا أنّ هذه الأساليب وغيرها تحتاج إلى قراءة لغوية جديدة في إطار السياق، حيث وضح لي من خلال استقراء آيات القرآن الكريم أنّ اسم الفاعل المنون لا يدلّ فقط على الحال أو الاستقبال، وإنّما يراد به عدم استمرار الحدث أو ثبوته، وأنّه أمر طارئ منقطع (المقدمة الصفحة ٦ ، صفحة ١٧٨ من المجلة)

وهو ما يجعل إضافة اسم الفاعل العامل الذي يدلّ على التجدد في الحال والاستقبال إلى معموله عدولاً عن الأصل، وهو تنوين اسم الفاعل وعمله عمل الفعل، فليس الأصل إضافته؛ إذ أنّ الأصل في اسم الفاعل العامل التنوين، لدلالة التنوين على العمل الفعلي، وهي دلالة تجدد وانقطاع ، وليست ثبوتاً واستمراراً ... فقرائن السياق تدلّ على أنّ الأصل في إضافة اسم الفاعل العامل التنوين ، بأن يفيد المعنى التجدد والحدوث في الحال أو الاستقبال ، ليكون العدول عن التنوين إلى الإضافة(التي تفيد انتهاء وقوع الفعل في الزمن الماضي واستمرار

الوصف منه) لفائدة بلاغية، هي أن يكتسب اسم الفاعل الذي أصله التثوين (العمل الفعلي المتجدد في الحال أو الاستقبال) دلالة الإضافة (الزمن الماضي المستمر) تأكيداً على وقوعه ، فهو كالمحقق الموجود. وهذا هو المدخل البلاغي (مقدمة الرسالة ، الصفحة أ ، ب)

يقول سيبويه: ((أريد بها معنى التثوين ... ولكن التثوين حذف استخفاً))<sup>(١)</sup> فسيبويه يبين أن المراد من اسم الفاعل العامل المضاف معنى اسم الفاعل العامل المنون - ضاربٌ زيداً- فإن أصل الإضافة -هنا- التثوين ويرى سيبويه أن التثوين حذف تخفيفاً من ثقله اللفظي، فالعدول عن التثوين إلى الإضافة للتخفيف اللفظي... وتصرّح النصوص السابقة بأن فائدة العدول ترجع إلى التخفيف اللفظي.

فمعنى ذلك أن اسم الفاعل المضاف إذا أريد به الحال أو الاستقبال -وهو أمر مرده إلى السياق- كان عدولاً عن تثوين اسم الفاعل العامل الذي يدل على التجدد والانقطاع (الحدث الفعلي) أما أن يكون داعي العدول عن التثوين إلى الإضافة للتخفيف اللفظي من ثقل التثوين؛ فهو موطن البحث في هذا الفصل.

وقد ذكر سيبويه وغيره أنّ العرب تفعل ذلك استخفاً دون أن يتغيّر المعنى.<sup>(١)</sup> (الملخص الصفحة الأولى ، صفحة ١٧٣ من المجلة)

فعبارة سيبويه وغيره في التعليق على حذف التثوين: "العرب تفعل ذلك استخفاً دون أن يتغيّر المعنى" تحتاج إلى إعادة نظر، كما أنّ القول بتثوين اسم الفاعل أو إضافته إلى معموله لا بدّ له من قراءة جديدة في ضوء السياق اللغوي.

فألصفحات القادمة تتناول دلالة اسم الفاعل في القرآن الكريم من زاوية أخرى غير التي أشار إليها النحاة، وهي الزاوية التي تعبّر عن الحالة القائمة لاسم الفاعل في سياقه من حيث استمرار وثبات الحدث أو انقطاعه وعدم تكراره ، وهو استقرار يوضّح لنا وجوه الاستعمال اللغوي لصيغة اسم الفاعل بعيداً عما ذكره النحاة واهتموا به ، حيث تركّز جهدهم في وضع شروط الصيغ ومقيسها ومسموعها، وقعدوا لذلك القواعد ، أمّا مسألة الدلالة فإنهم كانوا يمرّون بها عرضاً، ولا شكّ أنّه لو لم يختلف المعنى لما اختلف الأسلوب بين التثوين والإضافة، فليس كما ذكروا " أنّ العرب تفعل ذلك استخفاً دون أن يتغيّر المعنى" ، فكلّ عدول من أسلوب إلى آخر يصحبه عدول عن معنى إلى آخر

(١) سيبويه ، الكتاب ، ٤٢٥/١ . (هامش الرسالة)

(١) الكتاب : ١/١٦٥ ، ١/١٦٦ ، ١/١٨٣ ، شرح السيرافي : ٤/٦٢ ، ١/١٠١ ، ١/١٠٣ ، شرح المفصل : ٤/٨٤ ، ٨٥ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ١/١٢٧ ، الإنصاف : ٢/٦٥٩ وما بعدها ، إعراب القرآن للنحاس : ١/٢٢١ ، ٤/١٢٧ ، الكشاف : ١/٢٩٨ ، ٢/٢٩٩ . (هامش المجلة)

(المقدمة الصفحة ٩، صفحة ١٨١ من  
المجلة)

فإذا كان التركيب الإضافي - في  
الأصل- يفيد الوصف الثابت المستمر،  
وتحقق وقوع الفعل واستمراره، وكان  
تركيب تنوين اسم الفاعل العامل يفيد  
التجدد في الحال أو الاستقبال؛ فإن  
عدول اسم الفاعل عن التنوين إلى  
الإضافة ادعاء بتحقق وقوع الفعل  
واستمراره. (صفحة ٦)

٢- النتيجة التي توصل إليها  
البحث:

وبقراءة تلك الآيات وغيرها وضح  
أن القرآن الكريم عمد إلى الإضافة  
في تلك الآيات وما شابهها ، وإلى  
التنوين في الآيات التي اشتملت على  
اسم الفاعل منوناً، وكان لذلك  
دلالات مرتبطة بالسياق حيث  
جاءت الإضافة في مواضع تحتاج  
إلى ثبات واستمرارية واستقرار  
وبقين ، وجاء التنوين في مواضع  
تشير إلى انقطاع الحدث وعدم  
تكراره وافتقاده إلى الثبات  
والاستمرارية (الملخص الصفحة  
الأولى ، صفحة ١٧٣ من المجلة  
وخاتمة البحث الصفحة ٣٩ ،  
صفحة ٢١١ من المجلة)

٢- النتيجة التي توصل إليها  
الفصل الأول من الرسالة :

توصل البحث إلى أن إضافة اسم الفاعل  
الدالّ على الحال أو الاستقبال عدول  
عن الأصل ، وهو تنوين اسم الفاعل ،  
وهذا العدول له غرض دلاليّ وليس  
لمجرد التخفيف اللفظي .  
فتركيب اسم الفاعل المنون يدلّ على  
الحدوث في زمن الحال أو الاستقبال ،  
فيفيد التجدد الفعليّ والانقطاع ، أما  
التركيب الإضافي فإنه في الأصل يدلّ  
على الحدث في الزمن الماضي بما  
يفيد ثبوت الوصف واستمراره ، فعندما  
يأتي اسم الفاعل الذي يفيد الحدث في  
زمن الحال أو الاستقبال مضافاً ؛ فإن  
ذلك عدول عن التنوين ، غرضه  
معاملة الحدث الفعليّ في زمن الحال أو  
الاستقبال معاملة ما هو متحقق موجود  
من الزمن الماضي للتأكيد على وجوده  
واستمرار الوصف منه. (خاتمة الرسالة  
صفحة ٤٨٤ وهو نص منشور على  
الانترنت في صفحة التعريف بالرسالة)

### ٣- تحليل (مالك) :

فالعدول إلى الإضافة في تركيب "مالك يوم الدين" داعية قوة وجوب تحقق هذا الملك للملوك ؛ لحكمة الخلق ، فهو كالأصل المتحقق الموجود. (صفحة ٣٧)

### ٣- تحليل (مالك) :

و(يوم الدين) وإن لم يكن مستمراً في جميع الأزمنة فإنه لتحقق وقوعه وبقائه أبداً أجري مجرى المتحقق المستمر، وذلك لقدرة الله تعالى في يوم الدين، أو على إحداث يوم الدين في أي وقت (الصفحة ١٠، صفحة ١٨٢ من المجلة)

### ٤- تحليل (طارد) :

كما أن طرد المؤمنين يجعل الدين على هوى الكافرين: أي هو طرد لدين الله الذي لا يملك الحكم فيه للسادة ، فهو أمرٌ عقديّ جاء على وجه الثبوت والدوام ، لا التجدد والانقطاع (صفحة ٧٨)

### ٤- تحليل (طارد) :

وكانت إجابته باسم الفاعل المضاف(طارد) ليدل على ثباته في ذلك الرأي واستمراريته في ذلك... فاستخدام الإضافة في التعبيرين (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا)، و(إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ) تدل على ثبات النبي وخوفه من الله وعذابه إن طرد المؤمنين، وإيمانه بلقائهم ربهم (الصفحة ١٥، صفحة ١٨٧ من المجلة)

### ٥- تحليل (حاضر) :

فالقرب للمكان قام عليه الحكم، فجاءت الإضافة لتدل على القرب الدائم للمكان، فوضحت الصيغة علة منع يسر قد منحه الله لعباده ، والأصل في التشريع اليسر. فعدل عن التنوين الدالّ على الحضور المتجدد -وهو الأصل- إلى الإضافة الدالة على الحضور المستمر والدائم ؛ إشارة إلى سهولة الحضور إلى المسجد أو إلى البحر، فكان أهل مكة وأهل القرية حاضرين على الدوام ، لأن في إمكانهم الحضور على وجه اليسر. (صفحة ٥٨)

### ٥- تحليل (حاضر) :

لذلك استعمل القرآن اسم الفاعل مضافاً (ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) للتعبير عن الإقامة الدائمة والاستيطان والاستمرار (الصفحة ٢٣، صفحة ١٩٥ من المجلة)

## ٦- تحليل (جامع) :

يقول الرازي عن أصل التركيب الإضافي "جامع المنافقين": (( وأراد: "جامع المنافقين" بالتنوين ، لأنه بعد ما جمعهم ، ولكن حذف التنوين استخفافاً من اللفظ ، وهو مراد في الحقيقة ))<sup>(١)</sup>. فالرازي يبيّن أن المراد بـ "جامع المنافقين" الزمن المستقبل ؛ لذا فإن أصله التنوين ، والإضافة عدول عن الأصل.

كذلك "جامع الناس" عدول عن الأصل، لأن الإضافة تفيد الزمن الماضي ، والمعنى المراد جمع الناس في المستقبل... (صفحة ١٠)

## ٦- تحليل (جامع) :

وأضيف اسم الفاعل "جامع" إلى "الناس" ليؤكد ثبات الحدث "جمع الناس" مع دلالة الآية الزمنية على المستقبل، والتي كان من المفترض أن يأتي اسم الفاعل فيها منوّناً "جامع" ، إلا أن دلالة الآيات على ثبات الحدث يناسب إضافة اسم الفاعل وليس التنوين كما ذكر بعض المفسرين من أن الأصل "جامع" بالتنوين فحذف استخفافاً<sup>(٢)</sup> (الصفحة ٢٤ ، صفحة ٩٦ من المجلة)

وتتضمّن الآية التهديد للذين كفروا بآيات الله، وفي صدد التهديد بالعذاب يؤكد لهم علم الله الذي لا يند عنه شيء (الصفحة ٢٤ ، صفحة ٩٦ من المجلة)

فتركيباً "جامع الناس" و"جامع المنافقين" إشعار بالوعيد لمن تركوا كما يشاءون في الدنيا ، يخوضون في آيات الله تعالى باتباعهم الماكر لما تشابه من القرآن ، واجتماعهم على الاستهزاء به... فجاء الوعيد الذي أصله التنوين "جامع الناس" ، الدالة على التحقق في الزمن الماضي، ليؤكد الله تعالى على معاقبة الكفار بمثل جنس عملهم ، وهو في شأنه سبحانه عمل هين كالتحقق الموجود. (صفحة ١١، ١٠)

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ٨٣/١١ .  
(٢) انظر روح المعاني: ٢ / ٣٨٢ ، الكشاف: ١ / ٢٩٩ ، ٢٩٨ .



#### ٧- تحليل (متخذ) :

وجاء العدول عن التتوين الدالّ على العمل الفعلي المتجدد في الحال أو الاستقبال إلى الإضافة الدالة على الزمن الماضي المستمر ، مراعاة لأمرين : الأمر الأول : أن اتخاذ الخدن على وجه المداومة وتخصيص صاحبة، فيه معنى الاستمرار المناسب للإضافة. (صفحة ٥٠)

#### ٧- تحليل (متخذ) :

تلك السريّة وذلك الحبس والاستتار يناسبه إضافة اسم الفاعل (ولاً مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ)، ( وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ) ليشعر معه القارئ بالثبات واستمرارية المرأة مع المخادن الذي يقيم معها على معصية، وتقيم معه، فذات الخدن تختصّ بواحد لا تزني إلا معه، وكذلك المخادن، بخلاف المسافحات المعلنات اللاتي لا يمتنعنّ أحداً أرادهن بالفاحشة، وجاء بصيغة الجمع "أخدان" للمقابلة بالانقسام على معنى ألا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ألا يكون لها أخدان. (الصفحة ٢٩، صفحة ٢٠١ من المجلة)

#### ٨- تحليل (محلي) :

وعقب الألووسي على قول الزمخشري قائلاً: ((ولم يحمل (الزمخشري) الإحلال [إحلال بهيمة الأنعام] على اعتقاد الحلّ ، ظناً منه أن تقييد الإحلال بعدم اعتقاد الحل غير موجّه<sup>(١)</sup>). ومجىء النهي عن التحليل بدلاً من النهي عن الصيد نفسه ( غير الصيد، لا تصطادوا ، غير صائدين ) تغليظاً للنهي ، وكأنّ فعله استحلالاً لما حرمه الله، فكانّ فعل الصيد في الحرام مخالفة مغلظة تشبيهاً أن يكون تشريعاً في عدم التحليل ، أي كأنّ المقصود: أن النهي عن الصيد في الحرم نهى يصل إلى درجة النهي عن التشريع بدون أمر إلهي. فالعدول إلى التركيب الإضافي لمراعاة أن الحلّ تشريع، والتشريع لا يكون إلا على الدوام والاستمرار في إباحة الفعل. (صفحة ٥٢)

#### ٨- تحليل (محلي) :

لذلك عبّر القرآن عن ذلك العقد بقوله: (غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ ) بإضافة اسم الفاعل الذي يشعر معه القارئ بضرورة الإبقاء والالتزام والاستمرارية في تنفيذ تلك العقود مع الله سبحانه وتعالى، وذلك بتحريم الاصطياد عملاً واعتقاداً في حالة الإحرام. (الصفحة ٣١، صفحة ٢٠٣ من المجلة)

(١) الألووسي ، روح المعاني ، ٥٠/٦ .

## ٩- تحليل (تارك) :

وجاء اسم الفاعل "تارك" منوياً مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَالْعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ (هود : ١٢) فلم يحذف التنوين تخفيفاً ، وهو خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ... فالنهي في "العلك تارك" بعض " جاء لينهاه عن فعل ذلك ولو زمناً قليلاً ... فجاء التنوين ليفيد معنى التجدد والانقطاع ، فهو تحذير للرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك شيئاً من الوحي ولو مرة واحدة في الحال أو الاستقبال.

فالتنوين جاء نهياً من الله تعالى أن يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ما قد يدفعه إليه ميله القلبي أو خوفه ، فهو نهى عن فعل لا يتعارض مع كونه بشراً ، وهو ما يشير إليه لفظ "العلك" ولفظ "كدت" ليكون النهي عن فعل قد يقع على وجه التجدد والانقطاع.

أما العدول إلى الإضافة كانت مع تأكيد الكفار على استمرارهم على أمر عقدي على وجه الدوام. (صفحة ٧٦)

## ٩- تحليل (تارك) :

ولقد عبّر القرآن عن المتوقع من النفس البشرية من ترك التبليغ وضيق الصدر إزاء هذا الجهل من الكافرين بصيغة اسم الفاعل المنون "تارك" ، "ضائق"؛ ليدل على أن ما أصاب الرسول- صلى الله عليه وسلم- أمر عارض غير ثابت، لا استمرارية فيه، ولا دلالة فيهما على تمكّن الوصف منه- صلى الله عليه وسلم- فتنوين اسم الفاعل يعني أن الموصوف به لن يظلّ محتفظاً بهذه الصفة لتكون لازمة له، ولكنها تعبر عن مرحلة من المراحل من فرط ما قابله الرسول- صلى الله عليه وسلم- من إنكار، وما طالبوا به من أشياء تخرج عن نطاق إنسانيته...

فإذا ما تعلق المعنى بأمر فيه ثبات، واستقرار، واستمرارية، عدل الأسلوب القرآني عن التنوين إلى الإضافة قال تعالى : (... وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا ... )<sup>(١)</sup> (الصفحة ٣٦ ، صفحة ٢٠٨ من المجلة)

لذلك جاء الأسلوب اللغوي موافقاً لتلك المعاني فأضاف اسم الفاعل (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ)؛ لنشعر معه بإصرارهم، وعنادهم، وكفرهم بما جاء به الرسول الكريم (الصفحة ٣٧ ، صفحة ٢٠٩ من المجلة)

فالتركيب الإضافي "تاركي آلِهَتِنَا" تأكيد على لسان قوم هود عليه السلام على نفي ترك آلِهَتِهِمْ ولو زمناً محدداً ، فهم مصررون على ما كانوا عليه قبل دعوة التوحيد ، ويدل على إصرارهم هذا ما جاءت به الآية من تأكيدهم على العناد ، وذلك من تعدد الجمل التي تفيد عنادهم: "ما جئنا ببينة" - "ما نحن بتاركي آلِهَتِنَا" - "ما نحن لك بمؤمنين". فجاءت صيغة الإضافة تأكيداً على استمرارهم على عقيدة الشرك. (صفحة ٧٥)

<sup>١</sup> - هود: ٥٠ - ٥٤.

## ١٠- تحليل (ذائقة) :

ولا يمكن أن يكون معنى التركيب الإضافي: كل نفس ذاق الموت - بدلالته على الماضي- فالتركيب الإضافي "ذائقة الموت" يفيد الاستقبال ، وهو ما يدل على أن أصل الإضافة -هنا- التنوين: "ذائقة الموت"، يقول الزمخشري: ((وقرأ اليزيدي: "ذائقة الموت" على الأصل))<sup>(١)</sup> ، والعدول عن التنوين إلى الإضافة غرضه التأكيد على وقوع الموت فهو كالمحقق الموجود ، وله داعية في السياق. (صفحة ٤٢)

## ١٠- تحليل (ذائقة) :

لهذه المعاني جاء اسم الفاعل " ذائقة " مضافاً لما بعده، ليؤكد ويقرّر ثبات تلك الحقيقة، حقيقة الموت، فهو نهاية كلّ حي، وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض، بالرغم من أنّ المعنى لما يستقبل، أي: كلّ نفس ستذوق الموت، وهذا كان يقتضي تنوين اسم الفاعل كما قال النحاة، إلا أنّ القرآن الكريم وأسلوبه اللغوي الدقيق أراد أن يفرّغ اللفظ من زمن محدد، ليجعل الموت حقيقة ثابتة دائمة لكلّ نفس. (الصفحة ٣٨، صفحة ٢١٠ من المجلة)

فما نجده من تطابق في الفكرة والنتيجة ، وتقارب في بعض النصوص بين الفصل الأول من رسالة ماجستير (مطبوعة عام ٢٠٠٦ ومنشور ملخصها على الانترنت) وبحث (منشور عام ٢٠١١) يثير التساؤل ويستدعي النظر في حقيقة الأمر، إذ كيف تتفق نتيجة البحث إلى هذا الحد؟! وأياً ما كانت نظرتنا لهذا الشبه لا يُعفى الباحث المتأخر من ذكر اسم دراسة علمية منشورة تتطابق مع فكرة بحثه، والأمر مفوض إلى الله تعالى ، ثم للباحثين التحقق من الأمر .

ولله الأمر من قبل ومن بعد

**د. محمد سامي عبد السلام حسانين**

مصر ، كلية الآداب ، جامعة المنيا

٠١٠٠٢٩٨٣٢٢٩

mohamed.samy\_1978@yahoo.com

(١) الزمخشري : الكشاف ، ٣٩٤/١ .



Author: محمد سامي عبد السلام X

← → C [snv4.eulc.edu.eg/eulc\\_y5/Libraries/Thesis/BrowseThesisPages.aspx?fn=ThesisPicBody&BibID=10914973&TotalNoOfR](http://snv4.eulc.edu.eg/eulc_y5/Libraries/Thesis/BrowseThesisPages.aspx?fn=ThesisPicBody&BibID=10914973&TotalNoOfR)

هيئة الإعداد

باحث / محمد سامي عبد السلام  
مشرف / أحمد عبد المجيد هريدي  
مشرف / صفوت عبد الله الخطيب

الموضوع

القرآن، بلاغة القرآن - أبحاث

تاريخ النشر

1427 هـ =

عدد الصفحات

أخر 555 صفحا

اللغة

العربية

الترجمة

فاحصين

التخصص

اللغة والاساليب

تاريخ الإجازة

1/1/2006

مكان الإجازة

خطة انصا - كلية الآداب - اللغة العربية

المقرن

كلية الآداب  
قسم اللغة العربية

## العدول إلى التركيب الإضافي في القرآن الكريم (دراسة بلاغية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب (قسم اللغة العربية)  
إعداد الطالب : محمد سامي عبد السلام

إشراف :

أ. د. أحمد عبد المجيد هريدي  
أستاذ اللغويات بقسم اللغة العربية،  
كلية الآداب ، جامعة المنيا.

أ. د. صفوت عبد الله الخطيب  
أستاذ البلاغة والنقد بقسم اللغة العربية،  
ووكيل كلية الآداب ، جامعة المنيا.

1427 هـ - 2006 م

أستاذ محمد سامي عبد السلام

sn4.eulc.edu.eg/eulc\_v5/Libraries/Thesis/BrowseThesisPages.aspx?fn=ThesisPicBody&BibID=10914973&TotalNoOfRi

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب (قسم اللغة العربية)  
إعداد الطالب : محمد سامي عبد السلام

إشراف :

أ. د. أحمد عبد المجيد هريدي      أ. د. صفوت عبد الله الخطيب  
أستاذ اللغويات بقسم اللغة العربية،      أستاذ البلاغة والنقد بقسم اللغة العربية،  
كلية الآداب ، جامعة المنيا.      ووكيل كلية الآداب ، جامعة المنيا.

1427 هـ - 2006 م

1 from 575

المستخلص

- يوسل البحث إلى أن إضافة اسم الفاعل بدلاً عن الاستغناء عن الفعل ، وهو توري اسم الفاعل ، وفقاً للبيان به عرضي لأنّ ليس اعتدوا التحليل اللغوي .  
فتركيب اسم الفاعل لغوياً يناد على الحيوت في زمن الحال أو المستقبل ، فبعد التحذ النص واللفظ . أما التركيب الإماعي فإيه في الأصل يناد على الحيوت في الزمن الماضي بما يفيد توري الوجود  
والمستمره . فبمجرد يأت اسم الفاعل تلك يفيد الحيوت في زمن الحال أو المستقبل فضلاً ؛ فإنّ ذلك عدوا عن التوري ، عرمة علامة الحمت اللغوي في زمن الحال أو المستقبل علامة ما هو متحقق  
موجود في الزمن الماضي التأكيد على وجوده واستمرار الوجود فيه .

16:29  
٢٠١٥/٧/٢٢

Author: محمد اسلام محمد

svu4.eulc.edu.eg/eulc\_v5/Lib/theses/BrowseThesesPages.aspx?In=PublicDrawTheses&

Search

☆ ⚙️ 🛡️ ⬇️ ⬆️ ⬇️ ☰

تاريخ الإجازة  
17/2006

مكان الإجازة  
جامعة المنيا - كلية الآداب - اللغة العربية

الفيديو

إشراف :  
أ. د. أحمد عبد المجيد هريدي  
أستاذ اللغويات بقسم اللغة العربية،  
كلية الآداب ، جامعة المنيا.

أ. د. صفوت عيد الله الخطيب  
أستاذ البلاغة والنقد بقسم اللغة العربية،  
ووكيل كلية الآداب ، جامعة المنيا.

1427 هـ - 2006 م

11 1 from 575

المستخلص

- يوضح البحث إلى أي إضافة اسم الفاعل الدال على الجاه أو الاستقبال عدول عن الأصل ، وهو توكيد اسم الفاعل ، وهذا العدول له عرض دالٌّ وليس انعكاس الخفيف المنطق . فتركيب اسم الفاعل العدولاً على الجاه في زمن الجاه أو الاستقبال ، فبعد العدول القطع والاقطاع ، أما التركيب الانعكاسي فله في الأصل بدأ على الجاه في الزمن العاصم ، بل بعد توكيد الوصف واستمراره ، فبعدما بدأ اسم الفاعل الذي بعد الجاه في زمن الجاه أو الاستقبال مضافاً ، فإن ذلك عدول عن السور ، عرصة ممانعة الجاهت العمان في زمن الجاه أو الاستقبال ممانعة ما هو منقطع موجود في الزمن العاصم للتأكيد على وجود واستمرار الوصف فيه .

2- وهذا العدول الذي جعل ما هو في الجاه أو الاستقبال كالمحقق الموجود في الزمن العاصم يشبه ما جاء به التركيب الانعكاسي ويقع في الزمن المستقبل ، فوجود دليل ( في العاصم ) ما هو في المستقبل سيؤيد التأكيد بالإضافة .

كما سيؤيد العدول إلى الإضافة قريب تحقق ما هو في المستقبل وظهور بشارته ، وكذلك جعل ما هو في المستقبل معاملة المحقق المسوّج ضرورية وجود ما هو في المستقبل لأنه مرتبط على ما هو في الزمن العاصم ، وأن التأكيد على وقوع ما هو في المستقبل بمعاملة معاملة المحقق المسوّج أمر عن استعمال الكثرة ، وإعداده الرسل تحققة ، أو المسوّج حيث السورة صفة الجاه في الزمن المستقبل ، كما جعل المسوّج في جرحه في الجاه أو الاستقبال معاملة المصنف وطرحه للتطبيق في تحريم ما لا يضمن فعله من الموهوب .

وسيّوّج العدول إلى الإضافة ما يقضيه إنسان في دالة استمراره في الفعل وإطلاقه بغير الوصف فيه ، كما استمرار منه إضاح الممانعة أرواح الكفار عملاً ، أو أن يكون ما هو في الجاه أو الاستقبال أمراً فعلياً يطلب الاستقبال واستمراره ، أو عموماً عن استمراره ويقوم به الزمن العاصم .

لأن عدول عن الزمن العاصم الفاعل إلى التركيب الانعكاسي لم يأت ليعبر التأكيد جعل ما هو في الجاه أو الاستقبال كالمحقق ، وإنما جاء من جميع جوانبه لوجود مسوّج في السبيل ، وذلك يؤيد العدول إلى التركيب الانعكاسي العاصم العاصم من السبيل .





## المقدمة

من أهداف البلاغة مراعاة مقام القول ، بحيث يُؤدَّى المعنى المراد بما يقتضيه الحال ، فالمعنى المراد يتضمّن العديد من الدلالات والمعاني ، وعلى البلاغة أداء المعنى المراد بكل ما يتضمنه بدقّة ، فيكونُ الشكلُ متضافراً مع المضمون ؛ لِيُتيح للقراءة المتجدّدة استلهاً لدلالات النصّ البليغ .

ومن طرق البلاغة العدول ، فهو وسيلة لأداء المعنى المراد ، والعدول هو أداء المعنى بصيغة أخرى غير صيغته الأصلية تجوّزاً ، لما تحتويه صيغة العدول ( الصيغة الأخرى ) من دلالة خاصة بما يقتضيه المقام ، وبذلك تجمع صيغة العدول بين المعنى الأصلي ودلالة الصيغة التي عُدلَ إليها ، وصيغة التركيب الإضافي واحدةٌ من تلك الصيغ التي استثمرتها بلاغة القرآن الكريم بالعدول إليها ، لِيتمكّن السياق من أداء المعنى المراد بما تفيده دلالة التركيب الإضافي .

وفي الصفحات الآتية بحثٌ عن عدول اسم الفاعل المنوّن إلى التركيب الإضافي ، مثل العدول عن تركيب ( جامعُ الناسَ ) إلى تركيب ( جامعُ الناسِ ) وهو بحثٌ يحدّد صورة العدول والغرض منه ، بتوضيح ملامح الصيغة الأصلية ، ثم دلالة الإضافة التي يريد السياق أداء المعنى في صورتها ، ثم الفائدة البلاغية التي تعود على المعنى من هذا العدول .

وبذلك تمثلت فرضية البحث في كون العدول إلى التركيب الإضافي لدلالة خاصة لا يؤديها التركيب الأصلي الذي عُدلَ عنه ، فالبحث يحاول أن يجد إجابةً لعددٍ من الأسئلة ، منها : ما الفرق بين تركيب اسم الفاعل المضاف وتركيب اسم الفاعل المنوّن ؟ وإذا كانت الإجابة – عند السابقين – تقول بأن التنوين هو الأصل وحُذف للتخفيف

اللفظي ؛ فلماذا لم يُحذف التنوين في التراكيب الأخرى التي جاءت به ؟

وهل تساوي اللغة بين دلالة التنوين ودلالة الإضافة ؟

إن البلاغة تقوم على أداء النحو للمعنى المراد ، فالنحو هو المشكل لتراكيب الكلام بما تقتضيه المعاني ، ليكون لكل تركيب دلالة تخصّه ، ومن هذه التراكيب التركيب الإضافي ، والإضافة لغة من ((أضفته وضيّفته: أنزلته عليك ضيفا ، وأملته إليك وقربته ، ولذلك قيل: هو مضاف إلى كذا أي: مُمال إليه ... والمضاف: الملصق بالقوم الممال إليهم وليس منهم. وكل ما أميل إلى شيء وأسند إليه فقد أضيف))<sup>(١)</sup> ولعلّ إطلاق لفظ الإضافة على التركيب النحوي الذي يتكوّن من المضاف والمضاف إليه ؛ إشارة إلى نسبة المضاف إلى المضاف إليه، كنسبة الضيف إلى المضيف ، واحتواء المضيف للضيف، كما أن في المعنى اللغوي للإضافة إشارة إلى العلامة الإعرابية ؛ فالإضافة: الإمالة لغة ، والإمالة هي: ((أن تتحني بالفتحة نحو الكسرة))<sup>(٢)</sup> وفي التركيب الإضافي يتحوّل المفعول به المنصوب بالفتحة إلى مضاف إليه مجرور بالكسرة ، مثل: كاتبُ الدرس- كاتبُ الدرس.

ويعرّف ابن هشام مصطلح الإضافة في النحو بقوله: ((إسناد اسم إلى غيره ، على تنزيل الثاني من الأول منزلة تنوينه ، أو ما يقوم مقام تنوينه ، ولهذا وجب تجريد المضاف من التنوين في نحو: غلامٌ زيدٍ، ومن النون في نحو: "غلاميّ زيد" و "ضار بي عمرو" ))<sup>(٣)</sup> وعلاقة إسناد المضاف إلى المضاف إليه تقوم على نسبة المضاف إلى المضاف إليه، فالمضاف إليه يستحق

(١) ابن منظور، لسان العرب ، مادة (ضيف)

(٢) الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ٤٥

(٣) ابن هشام ، شرح شذور الذهب ، ٣٢٥

المضاف ويمتلكه ، وهى بذلك علاقة ثبوت واستمرار وليست علاقة تجدد وانقطاع.

وهو ما يجعل إضافة اسم الفاعل العامل الذي يدلّ على التجدد في الحال والاستقبال إلى معموله عدولاً عن الأصل ، وهو تنوين اسم الفاعل وعمله عمل الفعل ، فليس الأصل إضافته ؛ إذ أن الأصل في اسم الفاعل العامل التنوين، لدلالة التنوين على العمل الفعلي ، وهى دلالة تجدد وانقطاع ، وليست ثبوتاً واستمراراً ، فإضافة اسم الفاعل العامل إلى معموله إضافة غير أصلية ، أي إضافة غير محضة ، يقول ابن هشام: ((أنّ الإضافة على قسمين: محضة وغير محضة وأنّ غير المحضة عبارة عما اجتمع فيها أمران: أمر في المضاف وهو كونه صفة [كاسم الفاعل] وأمر في المضاف إليه وهو كونه معمولاً لتلك الصفة... وهذه الإضافة لا يستفيد بها المضاف تعريفاً ولا تخصيصاً... وإما سُميت هذه الإضافة غير محضة لأنها في نية الانفصال ، إذ الأصل: "ضاربٌ زيداً" ... وإنما سُميت لفظية لأنها أفادت أمراً لفظياً وهو التخفيف ، فإن "ضاربٌ زيدٌ" أخفّ من "ضاربٌ زيداً")<sup>(١)</sup> فالإضافة اللفظية غير المحضة أصلها التنوين الذي يدل على العمل الفعلي (بنصب "زيد" مفعولاً به) وذهب النحاة كابن هشام إلى أن العدول عن الأصل (التنوين) إلى الإضافة لمراعاة التخفيف اللفظي.

والعدول خروج عن الأصل في الاستعمال ، يقول د. تمام حسان: ((الأصل في الاستعمال استصحاب الأصل ، سواء من حيث المبنى أو من حيث المعنى ، ولكن العرب درجت على تصحيح حالات معينة من العدول عن الأصل ، وأعطتها من الاعتداد بها ما رقي بها إلى مستوى الصواب المعتمد

(١) ابن هشام ، شرح شذور الذهب ، ٣٢٦-٣٢٧

على القاعدة ((<sup>(١)</sup>) فهناك أصل في الاستعمال ، وهناك خروج عن الأصل ، وبذلك تنتوّع أساليب الأداء ليكون لكل أسلوب دلالة تناسب المقام ، وللعُدول قرائن تدلّ عليه ، يقول د. تمام حسان: ((وكما يكون فهم الترخّص من خلال الاعتداد بالقرائن ، يكون فهم الأسلوب العدولي كذلك))<sup>(٢)</sup> فقرائن السياق تدلّ على أنّ الأصل في إضافة اسم الفاعل العامل التتوين ، بأن يفيد المعنى التجدد والحدوث في الحال أو الاستقبال ، ليكون العدول عن التتوين إلى الإضافة (التي تفيد انتهاء وقوع الفعل في الزمن الماضي واستمرار الوصف منه) لفائدة بلاغية، هي أن يكتسب اسم الفاعل الذي أصله التتوين (العمل الفعلي المتجدد في الحال أو الاستقبال) دلالة الإضافة (الزمن الماضي المستمر) تأكيدا على وقوعه ، فهو كالمحقق الموجود ، وهذا هو المدخل البلاغي ، إذ يكون البحث في عدول اسم الفاعل عن التتوين إلى الإضافة ؛ بحثا عن داعي العدول ومسوّغه بما يقتضيه السياق.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ هَدِيًّا بِالْعِ كَعْبَةِ ﴾ (المائدة: ٩٥) يقول الزمخشري: ((وصف "هديا" بـ "بالغ الكعبة" لأن إضافته غير حقيقية))<sup>(٣)</sup> فالأصل أن يكون اسم الفاعل نكرة بالتتوين أي "بالعًا" ، وقرينه الأصل أنّ "بالغ" صفة لنكرة، وجاء العدول من التتوين إلى الإضافة لإفادة الثبوت بدلا من التجدد ، دلالة على ثبوت أمن الحرم من الزمن الماضي واستمراره ، فجاء الهدى موصوفاً بالتركيب الإضافي الدال على الزمن الماضي المستمر خلافاً للأصل ، لأنّ الهدى هنا عوض (كفارة) عن انتهاك أمن الحرم الثابت والمستمر من الزمن الماضي بالصيد فيه ، فجاء الهدى وهو في الحال أو الاستقبال في الصيغة الدالة على المكفّر عنه .

(١) د. تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ١٣/١

(٢) د. تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ٧٧/٢

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ٦٣/٢

وقد تضمّن البحث دراسة بعض الآيات المتشابهات في القرآن الكريم ،  
مثل: "مصدقُ الذي" و"مصدقُ لما معكم" فوجود تركيب في القرآن الكريم  
متشابه للتركيب الإضافي موضع العدول ؛ أتاح للدراسة التأكد من الفرق بين  
دلالة التركيب الإضافي ودلالة التركيب الأصلي الذي عدل عنه، والتوصّل إلى  
دلالة العدول والغرض البلاغي منه ، وملحق بالدراسة بياناً لما درس من  
التراكيب الإضافية التي لها متشابه، مرتبة هجائياً وفق جذر لفظ المضاف .

وقد بدأت الدراسة بمدخلٍ تنظيري ، يعقبه تحليل التراكيب الإضافية في  
سياقاتها ، مصنّفة في مباحث تبين الفوائد البلاغية التي يكتسبها السياق من  
العدول ، وتحت كل مبحث التراكيب الإضافية التي تشترك في فائدة من هذه  
الفوائد مرتبة وفق الترتيب الهجائي لجذر لفظ المضاف / اسم الفاعل.

وهذا الكتاب في أصله الفصل الأول من رسالتي التي حصلتُ بها على  
درجة الماجستير عام ٢٠٠٦ في كلية الآداب، جامعة المنيا، بعنوان (العدول  
إلى التركيب الإضافي في القرآن الكريم -دراسة بلاغية) وأشرف عليها أ.د.  
أحمد عبد المجيد هريدي وأ.د. صفوت عبد الله الخطيب جزاهما الله خيراً ،  
ولعلّ إهداء الشكر لمن أثروا بعطائهم الجزيل هذا العمل لايزن أمام عطائهم  
شيئاً ، غير أن ما عند الله خير وأبقى.

لقد خطا قلمي خطوة أراها كبيرة ، إذ أن البحث في بلاغة القرآن  
الكريم بحث لا بدّ وأن يكون شديد الحذر في كل ما يُكتب ، خشية الانزلاق في  
خطأ لا يشوّه البحث فحسب ، وإنما يُعكّر صفو تذوق الجمال القرآني ، وتلك  
طامة كبرى حرصتُ على تجنّبها، إنها خطوة كبيرة ومحاولة صغيرة ، يكفيني  
فيها جرأة المحاولة وشرف البحث العلمي، وظنّي أنني توصلت فيه إلى  
صواب، أما وأن تكون الأخيرة مجردّ سراب ، فيكفيني ما قبلها ، ﴿ وَمَا عِنْدَ  
اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (القصص : ٦٠) .

وعلى الله قصد السبيل

د. محمد سامي عبد السلام

المنيا - سمالوط

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة المنيا

[Mohamed.samy\\_1978@yahoo.com](mailto:Mohamed.samy_1978@yahoo.com)

٠١٠٠٢٩٨٣٢٢٩

## المدخل النظري:

لكل تركيب لغوي دلالاته الخاصة به دون غيره ، ولا تقبل سلامة الأداء اللغوي ودقته أن يؤدي تركيب بعينه المعنى ذاته الذي يؤديه تركيب آخر ، فلا يتساوى تركيبان في أداء دلالة واحدة ، كما لا تجتمع دلالتان متغايرتان في تركيب واحد.

فإذا كان تركيب الجملة الاسمية له دلالاته الخاصة به ، فهو بذلك لا يؤدي دلالة تركيب الجملة الفعلية، وإذا ما وضع تركيب الجملة الاسمية موضع تركيب الجملة الفعلية في سياق تركيب الجملة الفعلية ، فهو خروج عن الأصل. فهناك فرق بين حقيقة دلالة الاسم وحقيقة دلالة الفعل ، يوضحه الجرجاني بقوله: (( موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد شيئاً بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء ))<sup>(١)</sup> فدلالة التركيب الاسمي الثبوت ، ودلالة التركيب الفعلي التجدد ، أي: الحدوث والانقطاع.

وفي اللغة تراكيب تتوسط بين هاتين الدالتين (الاسمية والفعلية) ؛ فتركيب الاسم العامل عمل الفعل (مثل: محمدٌ كاتبٌ الدرس) يؤدي دلالة فعلية لعمله عمل الفعل ، وهو - بذلك - لا يكون على الدرجة نفسها مع التركيب الاسمي- غير العامل عمل الفعل- في أداء الدلالة الاسمية (مثل: محمدٌ كاتبٌ الدرس) ولا درجة التركيب الفعلي في أداء الدلالة الفعلية (مثل: محمدٌ يكتبُ الدرس).

ويرتبط الاسم المنون بالدلالة الفعلية ، يقول ابن هشام : ((عمل المنون أقيس لأنه يشبه الفعل بكونه نكرة))<sup>(٢)</sup> فالاسم المنون العامل يؤدي دلالة فعلية ،

(١) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ١٧٤ ،  
(٢) ابن هشام ، شرح شذور الذهب ، ٣٨٢ ،

لأنه يعمل عمل الفعل ، وهو (الاسم المنون العامل) يشبه الفعل في أن الاسم المنون العامل نكرة ، والفعل لا يقبل التعريف ، وبذلك أصبح التنوين علامة تدل على أن الاسم العامل يعمل عمل الفعل .

والتركيب الإضافي لا يقبل التنوين ؛ فيحذف التنوين من المضاف ، يقول السهيلي: ((التنوين فائدته التفرقة بين المنفصل والمتصل ، فلا يدخل في الاسم إلا علامة لانفصاله مما بعده ، ولذلك يكثر في النكرات لفرط احتياجها إلى التخصيص بالإضافة ، فإذا لم تضاف احتاجت إلى التنوين تنبيهاً على أنها غير مضافة ، ولا تكاد المعارف تحتاج إلى ذلك [ أي إلى التنوين ] إلا فيما قلّ من الكلام [ يقصد الاسم العلم ] لاستغنائها في أكثره عن زيادة تخصيص ، وما لا يتصور فيه الإضافة بحال لا ينون بحال ، كالمضمر والمبهم))<sup>(١)</sup> فلا يجتمع في الاسم التنوين والإضافة معاً ، مما يجعل للتنوين دلالة تغاير دلالة الإضافة ، فالتنوين يكثر في النكرات ، والإضافة تعريف أو تخصيص ، والنكرة تشبه الفعل لأنهما شيوع بلا تعيين ( لذا كان عمل الاسم المنون أقيس ، كما قال ابن هشام ) والإضافة تكسب التعريف .

فإذا كان التنوين يرتبط في دلالاته بالأفعال ، فإن الإضافة تؤدي معنى الإسناد الاسمي ، وهو الإسناد الوصفي الثابت غير المقيد بزمن انقطاع ، فيعرف ابن هشام الإضافة بأنها: ((إسناد اسم إلى غيره))<sup>(٢)</sup> فالإسناد (الذي يقبل الثبوت أو التجدد) حاصل في الإضافة إلا أنه للثبوت دون التجدد ، إذ تفيد الإضافة وصفاً ثابتاً للمضاف ، واستحقاقاً ثابتاً للمضاف إليه ؛ لذلك تقع الإضافة للأسماء لا للأفعال ، يقول سيبويه: ((ولا معنى للإضافة إلى الأفعال ، لأنها لا تملك شيئاً ولا تستحقه))<sup>(٣)</sup> فالإضافة لا تكون -أصلاً- للأفعال ، لأن

(١) السهيلي ، نتائج الفكر في النحو ، ٦٩

(٢) ابن هشام ، شرح شنور الذهب ، ٣٢٥

(٣) سيبويه ، الكتاب ، ١٨٣/١

الإضافة موضوعة للتملك والاستحقاق ، وهو ما لا يمكن أن يكون للفعل .  
أما عن إضافة ظروف الزمان وأسماء آخر-كحيث وريث- للأفعال ،  
فلأنهما أدوات لها دلالة وظيفية محدّدة لا تقبل الملكية والاستحقاق ، ويذكر  
السهيلي أن الإضافة للأفعال إنما هي إضافة إلى الاسم المراد من الفعل ، يقول  
السهيلي: ((ما أضيف للأفعال في الحقيقة شيء ، وإنما أضيفت هذه-وما هو في  
معناها من الأسماء التي تقدم ذكرها-إلى الاسم الذي اشتق منه الفعل ، وهو  
الحدث ، وذلك أن أسماء الزمان إنما تذكر من أجل الأحداث الواقعة فيها))<sup>(١)</sup>.  
فالإضافة تقع للأسماء لتفيد معنى الإسناد الثابت (الملكية والاستحقاق)  
وهو ما يجعل دلالة الإضافة دلالة اسمية ثابتة ، مغايرة لدلالة العمل الفعلي  
الذي يفيد التجدد والانقطاع وهي دلالة الاسم العامل المنوّن.  
فهي أمور مترابطة بين الاسم وخصائصه من ناحية ، وأمور مترابطة  
بين الفعل وخصائصه من ناحية أخرى:

أ ( الاسم : الثبوت ، التعريف أو التخصيص ، الإضافة .

ب) الفعل : التجدد ، التنكير والشيوع ، التنوين .

فالاسم موضوعة الثبوت والاستمرار ، ويقبل التعريف أو التخصيص ،  
ومن خصائصه الإضافة .

أما الفعل فموضوعة التجدد والانقطاع ، ولا يفيد تعييباً فهو كالنكرة ،  
لذا يعمل عمله الاسم المنون ، والتنوين ضدّ الإضافة .

فهناك تركيبان متوازيان دلاليّاً: التركيب الإضافي (كاتبُ الدرس)  
وتركيب الاسم العامل المنوّن (كاتبُ الدرس) غير أن دلالة الاسم العامل المنوّن  
قد تأتي في صيغة التركيب الإضافي، وذلك بالعدول عن تنوين الاسم العامل

(١) السهيلي ، نتائج الفكر في النحو ، ٧٤



إلى إضافته ، فيأتي تركيب الاسم المنون " كاتبُ الدرس " مكان التركيب الإضافي " كاتبُ الدرس " ليأخذ بذلك الاسم المنون دلالة الثبوت لا التجدد ، وهي دلالة الإضافة الأصلية مثل: "يد الرجل".

ويبين ابن هشام انقسام الإضافة إلى أصلية (محضة) وغير أصلية (غير محضة) فيقول: ((الإضافة على قسمين: محضة وغير محضة. وأن غير المحضة عبارة عما اجتمع فيه أمران: أمر في المضاف ، وهو كونه صفة. وأمر في المضاف إليه ، وهو كونه معمولاً لتلك الصفة. وذلك يقع في ثلاثة أبواب: اسم الفاعل "كضارب زيد" ، واسم المفعول كـ "معطى الدينار" ، والصفة المشبهة كـ "حسن الوجه" ، وهذه الإضافة لا يستفيد بها المضاف تعريفاً ولا تخصيصاً. وأن الإضافة المحضة عبارة عما انتفى منها الأمران المذكوران أو أحدهما ، مثال ذلك: " غلام زيد" فإن الأمرين فيهما منتفیان ، و"ضرب زيد" فإن المضاف إليه وإن كان معمولاً للمضاف ، لكن المضاف غير صفة ، و"ضارب زيد أمس" فإن المضاف وإن كان صفة ، لكن المضاف إليه ليس معمولاً لها ؛ لأن الفاعل لا يعمل إذا كان بمعنى الماضي ، فهذه الأمثلة الثلاثة وما أشبهها تسمى الإضافة فيها: محضة ، أي خالصة من شائبة الانفصال ، ومعنوية ؛ لأنها أفادت أمراً معنوياً))<sup>(١)</sup>.

فإضافة المصادر نحو "ضرب زيد" إضافة محضة - وتسمى إضافة حقيقية ومعنوية- لأن العلاقة بين المصدر المضاف والمضاف إليه تفيد الثبوت، مثل: "هدى الله" و"أجر العاملين" فالمصدر مضاف إلى المالك.

وعدّ ابن هشام إضافة الصفة المشبهة باسم الفاعل من الإضافة غير المحضة لأن الإضافة فيها لا تفيد تعريفاً أو تخصيصاً للمضاف ، ولعل إضافة الصفة المشبهة كانت من قبيل الإضافة غير المحضة لأن الإضافة فيها ليست

(١) ابن هشام ، شرح شذور الذهب ، ٣٢٦

للاستحقاق أو التملك (وهو ما يفيد التعريف أو التخصيص) فليست مثل: "يد الرجل" التي تفيد الإضافة فيها لام الملكية: "يدٌ للرجل" ، وإنما إضافة الصفة المشبهة لتميز المضاف وتفسيره ، فتركيب: "حسنُ الوجه" أو "كريم الأخلاق" يفيد "زيدٌ حسنٌ وجهًا ، كريمٌ أخلاقًا" ، وإنما جاءت في صيغة الإضافة التي تفيد الثبوت لأن الإضافة أقرب للصفة المشبهة الدالة على الثبوت، فصارت الإضافة أصلاً للصفة المشبهة لدلالة الصفة المشبهة على الثبوت ، وإن كان الثبوت مع الصفة المشبهة في المضاف إليه (أي يفسره المضاف إليه) وليس الثبوت مع الصفة المشبهة للمضاف إليه ، إن تركيب الصفة المشبهة المضافة (حسنُ الوجه) ليس عدولاً عن التنوين الدالّ على الحدوث ، لأن الصفة المشبهة موضوعة للثبوت ، فليس التنوين أصل الإضافة فيها ، لذا خرجت الصفة المشبهة باسم الفاعل من هذه الدراسة، يقول ابن هشام ((وقولي: "على معنى الحدوث" مخرج للصفة المشبهة ولاسم التفضيل كظريف وأفضل، فإنهما اشتقا لمن قام به الفعل ، لكن على معنى الثبوت ، لا على معنى الحدوث))<sup>(١)</sup> فليست إضافة الصفة المشبهة عدولاً عن تنوينها.

أما اسم الفاعل فهو يدل على الفعل والفاعل ، وبإضافته إلى المعمول تكتمل أركان الدلالة الفعلية، واسم الفاعل المضاف إلى معموله - من حيث الدلالة على الزمن - نوعان:

الأول: اسم فاعل مضاف أريد به زمن الفعل الماضي ، مثل: "ضاربُ زيدٍ أمس" ، وهي إضافة محضة -حقيقية- تفيد تعريفاً أو تخصيصاً ، إذ أن إفادة وقوع الفعل في الزمن الماضي دلّ على تحقق وقوع الوصف "ضارب" ، فأفاد التحقق ثبوت الصفة على الدوام ، فاسم الفاعل الدالّ على الزمن الماضي ليس بعامل عمل الفعل ، وإضافته إضافة أصلية كما نص على ذلك ابن هشام .

(١) ابن هشام ، شرح شذور الذهب ، ٣٨٦

الثاني: اسم فاعل مضاف إلى المعمول أريد به الحال أو الاستقبال ،  
 مثل "ضاربٌ زيدٍ الآن أو غداً" ، وهي إضافة غير محضة ، أي ليست أصلية ،  
 وإنما أصلها تنوين المضاف ، يقول سيبويه: (( أريد بها معنى التنوين ... ولكن  
 التنوين حذف استخفافاً ))<sup>(١)</sup> فسيبويه يبين أن المراد من اسم الفاعل العامل  
 المضاف معنى اسم الفاعل العامل المنون -ضاربٌ زيدًا- فإن أصل الإضافة -  
 هنا- التنوين ويرى سيبويه أن التنوين حذف تخفيفاً من ثقله اللفظي ، فالعدول  
 عن التنوين إلى الإضافة للتخفيف اللفظي .

وإلى مثله ذهب الزمخشري في قوله: (( والمعنى كما هو قبل الإضافة،  
 ولاستواء الحالين وصف النكرة بهذه الصفة مضافة ، كما وصف بها  
 مفصولة ))<sup>(٢)</sup> فالزمخشري يقصد أن تركيب اسم الفاعل العامل المنون "ضاربٌ  
 زيدًا" مساوٍ لتركيب اسم الفاعل العامل المضاف "ضاربٌ زيدٌ" لذا يوصف  
 باسم الفاعل العامل المضاف إلى المعرفة الاسم النكرة مثل قوله تعالى: ﴿ هَذَا  
 بِالْغِ كَعْبَةٌ ﴾ (المائدة : ٩٥) يقول ابن عقيل: ((توصف به [اسم الفاعل العامل  
 المضاف] النكرة ، نحو قوله تعالى: ﴿ هَذَا بِالْغِ كَعْبَةٌ ﴾ وإنما يفيد التخفيف  
 وفائدته ترجع إلى اللفظ))<sup>(٣)</sup> فالقرينة الدالة على أن أصل "بالغ الكعبة" التنوين  
 "بالغًا الكعبة" وقوع "بالغ" صفة للنكرة مع أنها مضافة للمعرفة ، وكذلك إذا  
 جاء اسم الفاعل المضاف إلى المعرفة حالاً ، يقول ابن هشام: ((وصحّ مجيء "   
 ثاني" حالاً مع إضافته إلى المعرفة في قوله " ثاني عطفه" (الحج: ٩) ))<sup>(٤)</sup>  
 وتصريح النصوص السابقة بأن فائدة العدول ترجع إلى التخفيف اللفظي.

فمعنى ذلك أن اسم الفاعل المضاف إذا أريد به الحال أو الاستقبال -

(١) سيبويه ، الكتاب ، ٤٢٥/١

(٢) الزمخشري ، المفصل في علم اللغة ، ١٠٤

(٣) ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، ٤٦/٢

(٤) ابن هشام ، قطر الندى ، ٢٥٤

وهو أمر مرده إلى السياق- كان عدولاً عن تنوين اسم الفاعل العامل الذي يدل على التجدد والانقطاع (الحدوث الفعلي).

أما أن يكون داعي العدول عن التنوين إلى الإضافة التخفيف اللفظي من ثقل التنوين؛ فهو مدعاة البحث .

فإذا كان التركيب الإضافي - في الأصل- يفيد الوصف الثابت المستمر ، وتحقق وقوع الفعل واستمراره ، وكان تركيب تنوين اسم الفاعل العامل يفيد التجدد في الحال أو الاستقبال ؛ فإن عدول اسم الفاعل عن التنوين إلى الإضافة ادعاء بتحقق وقوع الفعل واستمراره .

ومعاملة ما يقع في الحال أو الاستقبال معاملة الماضي له مسوغه البلاغي ، فقد ذكر عز الدين بن عبد السلام أن من أنواع التجوز في الأفعال: ((التجوز بالماضي عن المستقبل ، تشبيهاً له في التحقيق))<sup>(١)</sup> وهو مثل الدعاء بصيغة الفعل الماضي "رحمه الله" ومتعة بفسيح جناته" ، والمراد منه المستقبل أي: يرحمه الله ويدخله جناته إن شاء الله تعالى ، والداعي البلاغي من هذا العدول -كما ذكر عز الدين- تشبيه ما يكون في المستقبل بما هو كائن في الماضي ، كأنه متحقق .

وتحدث ابن الأثير عن الفائدة البلاغية من الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل ، وجعله من الصناعة المعنوية ، فيقول: (( وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد ، كان ذلك أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل وإيجاده ، لأن الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها ))<sup>(٢)</sup>.

(١) عز الدين بن عبد السلام ، الإشارة إلى الإيجاز ، ٢٦ ،  
(٢) ابن الأثير ، المثل السائر ، ٤١٩/١

فإذا كان أداء الفعل الماضي لمعنى الفعل المستقبل فائدته البلاغية ، فإن أداء اسم الفاعل المضاف (الذي يفيد الوصف الماضي المستمر) لمعنى اسم الفاعل المنون (الذي يفيد الحدوث في الحال أو الاستقبال) فائدته البلاغية ، ولا يكون العدول عن التنوين إلى الإضافة لمجرد التخفيف اللفظي.

ولعل هذه الفائدة البلاغية هي ما جعلت الزمخشري يسمي الإضافة اللفظية غير المحضة في قوله تعالى: ﴿ مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ﴾ (الأحقاف: ٢٤): ((إضافة مجازية))<sup>(١)</sup>. ويُسمى الزمخشري وغيره هذه الإضافة بالإضافة غير الحقيقية كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وبحثاً عن هذه الفائدة البلاغية قمتُ باستقصاء التراكيب التي جاء فيها اسم الفاعل مضافاً إلى معموله في القرآن الكريم وذكرتها عدا التراكيب الإضافية الآتية: "جاعل الملائكة -خالق كل شيء-عالم الغيب-غافر الذنب-فاطر السماوات- فالق الحب-فالق الإصباح-قابل التوب- مالك الملك" لأن دلالتها من حيث هي في حقّ الله تعالى وحده أزلاً وأبداً ، فهي لا تفيد الحدوث أو التجدد في الحال أو الاستقبال .

وكذلك تراكيب: "داعي الله- صاحب الحوت - بادي الرأي" لأنها ألقاب تدل على الثبوت ، فقد أصبحت ألقاباً خاصة لأشخاص بذواتهم ، ولا تؤدّي معنى الحدوث الفعلي .

وقد بلغ عدد أسماء الفاعلين المضافة والمدروسة هنا أربعين اسم فاعل مضاف ، وفيما يلي تحليل تراكيبها الإضافية داخل السياق .

---

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٢٠٤/٤

## التحليل:

### أولاً: العدول عن تنوين اسم الفاعل لتحقيق مثيله في الزمن الماضي:

العدول إلى التركيب الإضافي عن تنوين اسم الفاعل العامل يكسب اسم الفاعل الذي يقع في الحال والاستقبال دلالة الحدوث في الزمن الماضي ، وهو تأكيداً على وقوعه ، يعتمد إليه السياق مع وجود المسوّغ له ، وفي هذا المبحث دراسة للتركيب الإضافية التي عدل إليها السياق لحديثه عن متحقق موجود في الزمن الماضي يشبه ما جاء به اسم الفاعل المضاف الذي يقع في الحال والاستقبال .

### (آتي):

جاء اسم الفاعل "آتي" مضافاً إلى معموله الاسم الظاهر مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في سورة مريم ، في سياق الردّ على من ادّعى على الله - تعالى- اتخاذ الولد، يقول تعالى: ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وُلْدًا \* إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (مريم : ٩٢-٩٣) وإضافة اسم الفاعل العامل دون عمله يدل على إرادة الزمن الماضي ، وإذا كان لا يصحّ عقلاً القول بأن جميع من في السماوات والأرض الذين كانوا والذين يكونون فيما بعد قد أتوا ربهم بالفعل ، فإن المقصود بهذا التركيب: الحكم اليقيني على حدوث هذا الانقياد والإتيان مستقبلاً ، وجاء في صورة الإضافة ليجعل ما هو مستقبل في حكم الماضي المتحقق تأكيداً على وقوعه .

ويُظهر أن أصل هذا التركيب الإضافي في التنوين ؛ ما قاله الزمخشري: (( قرأ ابن مسعود وأبو حيوة: "آتِ الرَّحْمَنَ" على أصله قبل الإضافة ))<sup>(١)</sup>.

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ١٢٩/٣

ويوضح الرازي معنى تركيب "آتي الرحمن" ، فيحمل دلالاته على الحال والاستقبال ، مما يبين أن أصل الإضافة التنوين والعمل الفعلي ، فيقول الرازي: (( والمراد أنه ما من معبود لهم في السماوات والأرض من الملائكة والناس إلى هو يأتي الرحمن ، أي: يأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبدًا منقادًا مطيعًا ، خاشعًا راجيًا كما يفعل العبيد ، ومنهم من حمله على يوم القيامة ))<sup>(١)</sup>.

ولهذا جاء الإتيان (بمعنى التسليم والانقياد واللجوء) على وجه ثبوت الصفة في صورة الإضافة ، لأنه انقياد دائم ، وإن تفاوتت درجات العبودية .

والعدول عن التنوين إلى الإضافة -هنا- جاء لأكثر من مسوغ :

١- تحقق وقوع الإتيان في المستقبل ، لأنه الحساب بعد العمل .

٢- إن مثل هذا الانقياد والتسليم هو ما حدث لعيسى -عليه السلام- فلقد أتى الرحمن عبدًا ، وما زال ذلك الانقياد والتسليم لعيسى -عليه السلام- مستمرًا له لأنه حي في السماء ، والسورة معنيّة بالحديث عن ابن مريم ، وسياق التركيب الإضافي يتحدث عن ادعاء الولد لله تعالى .

فالعدول عن التنوين تأكيدًا على وقوع الحدث في المستقبل ، ومراعاةً لتحقيقه في شخص المسيح عليه السلام ، فجاء اسم الفاعل العامل في صورة الإضافة الدالة على الزمن الماضي مع أن المراد الزمن المستقبل .

### جامع :

جاء اسم الفاعل "جامع" مضافًا للاسم الظاهر مرتين ، وذلك في قوله

تعالى:

١- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

(آل عمران:٩).

٢- ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ٢٥٥/٢١

اللَّهُ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿ (النساء: ١٤٠).

يقول الرازي عن أصل التركيب الإضافي "جامع المنافقين": (( وأراد: "جامع المنافقين" بالتنوين ، لأنه بعد ما جمعهم ، ولكن حذف التنوين استخفافاً من اللفظ ، وهو مراد في الحقيقة ))<sup>(١)</sup>.

فالرازي يبيّن أن المراد بـ "جامع المنافقين" الزمن المستقبل ؛ لذا فإن أصله التنوين، والإضافة عدول عن الأصل .

كذلك "جامع الناس" عدول عن الأصل ، لأن الإضافة تفيد الزمن الماضي ، والمعنى المراد جمع الناس في المستقبل .

ويشترك سياق الآيتين في حديثهما عن الانقسام في الإيمان بآيات الله ، فتركيب "جامع الناس" في آل عمران بعد الحديث عن اتباع ما تشابه من القرآن، يقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ (آل عمران: ٧) وتركيب "جامع المنافقين" جاء مع نهي الله للمؤمنين عن القعود مع من يكفر بآيات الله ويستهزأ بها.

فتركيبا "جامع الناس" و "جامع المنافقين" إشعار بالوعيد لمن تُركوا كما يشاءون في الدنيا ، يخوضون في آيات الله تعالى باتباعهم الماكر لما تشابه من القرآن ، واجتماعهم على الاستهزاء به.

فإذا كان اجتماع المستهزئين بالقرآن حاصلاً في الدنيا ، فإن الله تعالى يتوعدّهم بجمعهم في الآخرة ، وهو أهون عليه من تركهم يجتمعون في الدنيا .

فجاء الوعيد الذي أصله التنوين "جامع الناس" ، الدالة على التحقق في الزمن الماضي، ليؤكد الله تعالى على معاقبة الكفار بمثل جنس عملهم ، وهو في شأنه سبحانه عمل هين كالتحقق الموجود.

فجاء الوعد بجمعهم في الآخرة في صيغة الإضافة لأنه يماثل اجتماعهم في الدنيا ، في نوعه وفي إمكانية وجوده ؛ فعامله معاملة المتحقق الموجود.

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ٨٣/١١



## حَمَّالَةٌ:

وهي صيغة المبالغة من اسم الفاعل "حامل" ، وجاءت في قوله تعالى:  
﴿ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ \* وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (المسد: ٣-٤).  
وإضافة "حَمَّالَةٌ" إضافة لفظية أصلها التنوين ، فلفظ "حَمَّالَةٌ" كما يقول  
البيّنّا: (( نكرة حيث أريد بها الاستقبال ، أي حالها في النار كذلك ))<sup>(١)</sup> فالأصل:  
حَمَّالَةُ الْحَطَبِ .

وجاء في سبب نزولها ما ذكره الزمخشري عن زوجة أبي لهب أنها :  
(( كانت تحمل حزمة من الشوك فتنتثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ))<sup>(٢)</sup> .

فكما كانت تحمل هذه المرأة في الدنيا ، تحمل في الآخرة أيضاً ، فهو  
جزاء للعمل ، أو آثام مترتبة على فعلها في الدنيا كما يقول الرازي: (( المراد:  
ما حملت من الآثام في عداوة الرسول ، لأنه كالحطب في تصييرها إلى  
النار ))<sup>(٣)</sup> .

فالجزاء من جنس العمل كما يوضحه ابن كثير في كونها تُعين زوجها  
في النار واستعدادها لذلك ، يقول ابن كثير: (( كانت عوناً لزوجها على كفره  
وجحوده وعناده ، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في نار جهنم ، ولهذا قال  
تعالى: ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ \* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ يعني تحمل الحطب  
ليزداد على ما هو فيه ، وهي مهيأة لذلك ، مستعدة له ))<sup>(٤)</sup> .

فإذا كان الوعيد لامرأة أبي لهب بحملها الحطب في نار جهنم وعيداً لها  
في الزمن المستقبل أصله التنوين ، فإن تركيب "حَمَّالَةَ الْحَطَبِ" جاء بصيغة  
الإضافة الدالة على الزمن الماضي المستمر ؛ مراعاة لما كانت عليه في الدنيا ،  
فالفعل يستمر من الدنيا للجزاء المستمر في الآخرة.

(١) البيّنّا ، إتحاف فضلاء البشر ، ٦٠٦

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ٦٤٨/٤

(٣) الرازي ، التفسير الكبير ، ١٧٣/٣٢

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣١٩/٨

## محيي :

جاء اسم الفاعل "محيي" مرتين ، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الروم: ٥٠).

٢- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكُ ثَرَى الْأَرْضِ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فصلت : ٣٩).  
وإحياء الموتى بعث لهم من القبور يوم النشور في الزمن المستقبل، فأصل التركيب الإضافي "محيي الموتى" صيغة التثنية العاملة الدالة على الزمن المستقبل.

ولدلالة الاستقبال جاء الفعل المضارع "يحيي" عشرين مرة في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ (الشورى: ٩) فهي للاستقبال.

أما في آية الروم وآية فصلت فقد جاءت دلالة الاستقبال في صيغة الإضافة عدولاً عن أصل التثنية ، والسبب في ذلك أن الآيتين تصوران تجدد إحياء الأرض وموتها في الحياة الدنيا بإنزال المطر وإنبات الزرع ، فجاء اسم الفاعل "محيي" الدالّ على البعث في المستقبل بصيغة تحقق الوقوع ؛ لأن له متشابهاً مرئياً في الدنيا.

فمشاهدة إحياء الأرض بعد موتها دليل حسي على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى في المستقبل ، فهي تأكيد على هذه القدرة ، ممّا استدعى التركيب الإضافي الدالّ على الزمن الماضي (تحقق الوقوع) ليكون إحياء الموتى عن طريق صيغة الإضافة كالمحقق الموجود ، لما ذكره السياق من تحقق الإحياء ووجوده في صورة الأرض.

## مقنع :

جاء اسم الفاعل "مقنع" مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ \* مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (إبراهيم: ٤٢-٤٣).

ومعنى "مهطعين" كما يقول الزمخشري: (( مسرعين إلى الداعي ))<sup>(١)</sup>.

وعن معنى التركيب الإضافي "مقنعي رؤوسهم" ونوع إضافته يقول أبو السعود: (( رافعيها أو ناكسيها ، ويقال: أقنع رأسه أي طأطأها ونكسها. فهو من الأضداد ، وهما [مهطعين ومقنعي] حالان مما دلّ عليه "الأبصار" من أصحابها ، والثاني حال متداخلة من الضمير في الأول ، وإضافته غير حقيقية ، فلا ينافي الحالية ))<sup>(٢)</sup>.

فالإضافة غير حقيقية أصلها: "مقنعي رؤوسهم" ، وقد ناسب مجيئها في صورة الإضافة استمرار قنوعهم ، ودوام ذلهم في الآخرة خاصة وأن المقصود من إقناع الرأس وصفهم بالذل ، ووصف الذلّ دائم في كل ما يقع عليهم من عذاب في الآخرة سواء من الإقناع أو غيره .

وقد جاء السياق بالفعل المضارع "تشخص" الدالّ على الحال أو الاستقبال ، ومجيء دلالة الفعل المضارع "تشخص" على صيغته الأصلية مراعاة لتصوير بدء انتباههم ويقظتهم لبدء الحساب ، فيكون رد الفعل متجدداً لمفاجأتهم بأحداث الحساب ، فالفعل يدلّ على بدء وتجدد شخوص أبصار الظالمين لبدء انتقالهم لحال الرعب ، وذهولهم المتجدد أمام ما يحدث لهم .

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٥٤٦/٢

(٢) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ، ٤٩٧/٣

أما المراد من "مقنعي رؤوسهم" فهو الذلّ الواقع بهم ، فجاء في صيغة الإضافة تأكيداً على وقوعه واستمراره بهم في كل أهوال الآخرة .

وهذا الفعل بالرأس امتداداً لفعلهم برؤوسهم في الزمن الماضي في الدنيا، يقول تعالى: ﴿ فَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً ﴾ (الإسراء : ٥١) .

﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ \* ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (الأنبياء: ٦٤-٦٥) .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المنافقون: ٥) .

وهذه المواضع الثلاثة هي التي تصف حركة رؤوس الكفار في الحياة

الدنيا .

أما حركة رؤوس الكفار في الآخرة فقد جاءت في تركيبين إضافيين

هما:

- "مقنعي رؤوسهم" . - "ناكسوا رؤوسهم" .

فإذا نظرنا إلى العلاقة بين حركة الكفار في الدنيا في قوله تعالى:

﴿ فسينغضون إليك رؤوسهم ﴾ وبين حركتهم في الآخرة في ﴿ مقنعي رؤوسهم ﴾ نجد ما يلي:

١ - قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى ﴿ فسينغضون إليك رؤوسهم ﴾:

(( قال ابن عباس وقتادة: "يحركونها استهزاء" وهذا الذي قالاه هو الذي تعرفه العرب من لغاتها ؛ لأن الإنغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى أسفل ، ومنه قيل للظلم وهو ولد النعامه نغضاً لأنه إذا مشي عجل مشيته

وحرك رأسه))<sup>(١)</sup> ففعلهم في الدنيا - كما وصف في تفسير ينغضون - مماثل لفعلهم في الآخرة من إسراع في المشي مع حركة رؤوسهم برفعها أو نكسها - كما جاء في تفسير "مقنعي رؤوسهم" ليكون الوعيد بإقناع الرأس في المستقبل بصيغة التركيب الإضافي "مقنعي رؤوسهم" الدالة على الزمن الماضي لوجود مثل له في الماضي (الحياة الدنيا) فهو استمرار لفعلهم ، وتأكيذاً على وقوع الجزاء مثيلاً لعملهم في الماضي .

والخطاب في ﴿ فسينغضون إليك رؤوسهم ﴾ وفي ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ \* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ موجّه للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي كليهما ينسب الفعل (ينغضون - مقنعي) إلى الكفار بدعوتهم صلى الله عليه وسلم ، فهما عمل وجزاء لفئة واحدة .

وثمة علاقة - أيضاً - بين حركة الكفار في الدنيا في قوله ﴿ ثُمَّ نُكْسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ﴾ وحركة الكفار في الآخرة ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ .

فقد جاءت حركة الكفار في الدنيا "نكسوا" لقوم إبراهيم -عليه السلام- بعدما أقام عليهم الحجة وطلب منهم سؤال كبير أصنامهم ، لكن الكفار استمروا على عنادهم .

لتكون علاقة "نكسوا" بـ "مقنعي" عن طريق :

١ - علاقة إبراهيم عليه السلام وقومه بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه كفار مكة ، وهى العلاقة التي بيّنها الله تعالى في قوله: ﴿ مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (الحج: ٧٨) وهى علاقة الدين الحنيف القائم على التوحيد وترك عبادة الأوثان ، وإبراهيم عليه السلام هو من يقدسونه أهل مكة (العرب) لرفعه قواعد البيت وامتداد أنسابهم إليه .

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٥٣/٥

٢- الآيات التي تسبق مباشرة حركة الكفار في الآخرة ﴿مُفْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ في سورة إبراهيم هي دعاء إبراهيم -عليه السلام- لمكة ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥).

إنها دعوة بالأمن والتوحيد لأهل مكة ، يليها دعوة بالرزق وفي ذلك امتنان على أهل مكة .

فالحديث عن حركة كفار إبراهيم عليه السلام في الدنيا وعنادهم واستمرارهم على عبادة الأوثان في سورة الأنبياء- إنما يرتبط بالحديث عن عقاب الله تعالى لمن كفر بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم وظلّ على عبادة الأوثان -في سورة إبراهيم- وكان الحديث عن عناد كفار إبراهيم وعبادتهم الأوثان موجه إلى كفار مكة ودعوة لهم باتباع ملة إبراهيم عليه السلام .

فالقرآن يريد أن يقول لكفار مكة انظروا إلى أمثالكم ممن كفروا بأبيكم إبراهيم ، وعبدوا الأوثان ، ونكسوا رؤوسهم بإقامة الحجة عليهم لكنهم استمروا في العناد ، وأراد بنبيهم كيداً فجعلهم الله الأخسرين انظروا إليهم فإن جزاءكم في الآخرة سيكون بإقناع الرأس إن تمسكنم بالعناد مع إقامة الحجة ، مثل كفار إبراهيم عليه السلام .

فوجود العناد في الدنيا بنكس الرأس سوّغ مجيء "مقنعي رؤوسهم" في صيغة الإضافة الدالة على الزمن الماضي مع أنها وعيد في المستقبل ، لترابط كلا الحركتين - نكس الرأس وإقناعها- ولذلك جاء تركيب "ناكسوا رؤوسهم" في الآخرة وسيأتي الحديث عنه -إن شاء الله- تعالى في هذا المبحث .

أمّا الموضع الثالث الذي جاء بوصف حركة الكفار في الدنيا فجاء في قوله تعالى: ﴿لَوْوَا رُءُوسَهُمْ﴾ وهو للمنافقين الذين يعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تصف الآية صدّهم واستكبارهم والسياق يعمد إلى وصف

المنافقين ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأْتِهِمْ  
خُشْبٌ مُسَدَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (المنافقون: ٤).

وهذا الوصف يُبين فزع المنافقين "يحسبون كل صيحةٍ عليهم" فزعاً  
يحيل إلى وصف القرآن الكريم للمنافقين في مواضع أخرى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ  
رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغَسِّي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (الأحزاب:  
١٩) ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً مُحْكَمَةً وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (محمد: ٢٠).

فالعلاقة بين "لَوْوَا رُءُوسَهُمْ" و "مقنعي رؤوسهم" تمتثلت فيما يلي :

١- أن الأولى حركة المعاندين للرسول صلى الله عليه وسلم والثانية  
جزاء المعاندين له في الآخرة ففي كلا الموضوعين خطاب للرسول محمد صلى  
الله عليه وسلم .

٢- تصوير القرآن الكريم لفزع المنافقين خاصة ظهور فزعهم على  
أعينهم وهو تشبيه بتصوير القرآن لفزع المعاندين لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم يوم القيامة في سياق مقنعي رؤوسهم: ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ،  
﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ .

وهذا الربط بين حركة المنافقين في الدنيا وإقناع الرأس في الآخرة  
يجعلهم من المعنيين بالوعيد في الآخرة لمن يعاندون رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ووصفهم سياق "مقنعي رؤوسهم" بالظالمين ، فمجيء الوعيد لما هو  
مستقبل في صيغة الإضافة الدالة على الزمن الماضي "مقنعي رؤوسهم" إنما  
جاء لوجود مثل له في الدنيا (الزمن الماضي بالنسبة للآخرة) فتؤكد الصيغة  
على وقوع مثله في الآخرة ممن سبق لهم فعله ، فهو امتدادٌ من  
الفعل إلى الجزاء المماثل له ، عدلاً من الله تعالى في العقوبة .

فالعَدول من العمل الفعلي المتجدد إلى صيغة الإضافة جاء مراعاةً لوجود مثل له في الدنيا فهو كالمحقق جزاءً لمثيله المتحقق في الدنيا .

### (ملاقي) :

جاء اسم الفاعل "ملاقي" مضافاً إلى الاسم الظاهر ثلاث مرّات ، وقد جاء في صيغة الجمع ، وهي في قوله تعالى :

١- ﴿وَاسْتَعِيْبُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ\* الَّذِينَ

يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة : ٤٥-٤٦)

٢- ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ

اللَّهِ﴾ (البقرة : ٢٤٩)

٣- ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾

(هود : ٢٩)

ولقاء الله -عز وجل- لا يكون إلا في الدار الآخرة ، فاللقاء في المواضع الثلاثة لقاء في المستقبل ، فالمعنى كما يقول الزمخشري: (( أنهم يلاقون الله ، فيعاقب من طردهم، أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم ))<sup>(١)</sup> فاللقاء في الزمن المستقبل ، فالأصل في اسم الفاعل "ملاقو" أن يكون عاملاً ، لكنه جاء مضافاً للدلالة على ثبوت اللقاء وتحققه ؛ لأنه يقين وأمل عند المؤمنين، فالمواضع الثلاثة للمؤمنين .

والموضع الأول يخصّ هذا الوصف للخاشعين في صلاتهم ، والموضع الثاني يخصه للمجاهدين الثابتين عند لقاء الموت ، وكلاهما لقاء الله ، فالصلاة انقطاع عن الدنيا وصلة بالله تعالى ، والجهد انقطاع عن الدنيا وإقدام على لقاء الله تعالى.

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٣٩٩/٢



وموضع سورة هود جاء على لسان نوح عليه السلام وهو ينفي طرده للمؤمنين ويصفهم بلقاء الله تعالى ، ووجود المؤمنين مع رسول الله نوح عليه السلام (وهم قلة يصفهم الكفار بالأراذل) ينصرون الله ورسوله ، إنما هو نوع من الثبات واليقين ، وإيمانٌ قوي بلقاء الله ، بل كأنه لقاء مع الله تعالى حقًا بلقائهم مع رسول الله ، ونصرتهم لله ، فكأنهم رأوا الله سبحانه ، فحقُّ العبادة أن تعبد الله كأنك تراه.

فنوح عليه السلام ينفي طردهم أي الفرقة عنهم لأنهم فعلاً في معيته ، ومعية رسول الله هي معية الله سبحانه.

فالأصل أن يأتي اسم الفاعل "ملاقوا" في موضعه الثلاثة في صيغة العمل الفعلي الدال على لقاء الله في الآخرة ، لأنه لقاء في الزمن المستقبل ، لكن السياق عدل عن الأصل إلى صيغة الإضافة الدالة على الزمن الماضي لأنه لقاء كالمحقق الموجود ، سوَّغه تحقق هذا اللقاء فعلاً في الحياة الدنيا (الزمن الماضي بالنسبة للآخرة) فالمؤمنون لاقوا الله في صلاتهم ، وفي جهادهم (وهما انقطاع عن الدنيا) وفي معيبتهم لرسول الله .

وقد جاء اسم الفاعل "ملاق" منوئاً مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٌ حِسَابِيَّةٌ﴾ (الحاقة: ٢٠) وهي على لسان المؤمن حكاية عن نفسه في الدنيا ، وقد انتهى حسابه ونال جزاءه ، فلا يوجد داعٍ للتأكيد كما أن لقاء الحساب ينتهي بالجزاء ، أما لقاء الله تعالى فهو أملٌ ونعيمٌ مستمر.

### مُنذِرٌ:

جاء اسم الفاعل "منذر" مضافاً مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا\*فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا\*إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا\*إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾ (النازعات: ٤٢-٤٥).

يقول الزمخشري في تفسيره للآيات: (( لم تبعث [يا محمد] لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه ، وإنما بعثت لتنذر من أهوالها ، من يكون إنذارك لطفًا في الخشية منها ، وقرئ: "منذرٌ من" بالتثوين ، وهو الأصل ، والإضافة تخفيف ، وكلاهما يصلح للحال والاستقبال ، فإذا أريد المضي فليس إلا الإضافة ، كقولك: هو منذرٌ زيدٍ أمس))<sup>(١)</sup>.

فيحتمل أن تكون الإضافة -هنا- إضافة حقيقية ، فهي وصف للرسول صلى الله عليه وسلم من باب الردّ على من سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن موعد الساعة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب ، وإنما صفته التي بعث من أجلها الإنذار ، فهو منذرٌ الناس بالساعة ، وتحقق ذلك بإيمان من يخشاها.

ويحتمل أن تكون إضافة (منذرٌ من) غير حقيقية أصلها التثوين ، ويراد بها الحال أو الاستقبال ، وهو معنى يقبله السياق ، بدليل قراءة التثوين. ويناسب إرادة زمن الحال أو الاستقبال أنّ السورة مكية ، والسياق يردّ على الكفار ؛ فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم منذرًا للساعة في زمن الحال والاستقبال ، خاصة وأن معنى الإنذار يتطلب العمل في الحال أو الاستقبال ، على غير معنى: "إنما أنت رسولٌ من يخشاها" وهو معنى الإضافة الحقيقية .

ويقول ابن منظور عن معنى الإنذار: (( والإنذار: الإبلاغ ، ولا يكون إلا في التخويف))<sup>(٢)</sup> فالإنذار في أصله وعيد بالعذاب ، فالأصل أنه للكفار الذين لا يؤمنون بقيام الساعة ، لذا نجد اسم الفاعل "منذر" يحمل دلالة التخويف للكفار وذلك في مواضعه الأخرى في القرآن الكريم .

فقد جاء اسم الفاعل "منذر" -المفرد- منونًا أربع مرات وذلك في قوله تعالى :

١- ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (الرعد : ٧)

٢- ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ (ص : ٤)

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٥٤٣/٤

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نذر)

٣- ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (ص : ٦٥)

٤- ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ (ق : ٢)

وفي جميعها أريد بالمنذر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو إنذارٌ للكفار الذين لا يؤمنون بالبعث .

فالإنذار في أصله وعيد للكفار ، فعندما يكون الإنذار للمؤمنين (من يخشى الساعة) فهو من باب تذكير المؤمنين بما يتطلبه إيمانهم ، إنذاراً لهم من العقاب بعد الساعة .

فالإنذار يدلّ على معنيين:

١- إنذار الكفار ليؤمنوا بالبعث .

٢- إنذار بالعقاب المترتب على ترك العمل ، وهو لمن آمن بالساعة ويخشى قيامها، فالإنذار يكون له بما يترتب عليه إن لم يعمل لما بعد الساعة . وقد جاء الإنذار في صيغة الإضافة (إنما أنت منذرٌ مَنْ) على الرغم من أنّ عمل الرسول صلى الله عليه وسلم بالإنذار ما زال متجدّداً في الحال والاستقبال ، لبيان صرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن إنذاره للكافرين الذين لا يعنيه إلا موعد قيام الساعة إلى إنذاره من يخشى الساعة ، وهو إنذار للمؤمن ، ليعمل لما بعد الساعة ، بعد ما سبق أن أُنذر ليؤمن بالساعة ، فهو إنذار للمؤمن من العقاب على المعصية ، تدلّ على خشية المنذر (من يخشاها) وإيمانه بالساعة ، فقد سبقه إنذار من الكفر بها .

فتجدد الإنذار للمؤمن الذي يخشى الساعة أولى من إنذار من لا يعنيه من الساعة إلا السؤال عن وقتها ، وهذا العمل المتجدد في الحال والاستقبال (الإنذار) جاء في صيغة الإضافة لوجود إنذار سابق تحقق بإيمان من يخشى الساعة .

وفي الإضافة -أيضاً- تأكيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يكمل عمله في الحال والاستقبال بإنذار الناس ، دون يأس بسبب جحود الكفار وانصرافهم عن الإيمان بالساعة إلى السؤال عن وقتها ، وسيجد الرسول صلى الله عليه وسلم من يؤمن بالساعة ويخشأها ، فهو تأكيد بأن يستمر الرسول صلى

الله عليه وسلم في عمله ، فهو كالمحقق الموجود ، وفائدة عمله (الإيمان بالساعة) متحققة بالاستمرار في الإنذار .  
فهو عدول إلى الإضافة داعية أن الإنذار في أصله عمل متجدد للكفار ، لكنه عدل إلى أن يكون الإنذار لمن يخشى الساعة ، فجاء بالعدول إلى الإضافة ليفيد أنه إنذار لمن تحقق فيه الإنذار من قبل واستفاد منه ، لبيّن فائدة الإنذار ، وليؤكد على الاستمرار فيها بمعاملتها معاملة المحقق في وجودها وفي الاستجابة لها .

### ناكس:

جاء اسم الفاعل "ناكس" مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَوْثَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (السجدة: ١٢) وقد ذكر الزمخشري مسوغ مجيء الآية كلها في صيغة الزمن الماضي، مع أنها تفيد الزمن المستقبل ، وذلك بقوله: (( و"لو" و"إذ" كلاهما للمضي ، وإنما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود ، والمقطوع به في تحققه ))<sup>(١)</sup> فهو وعيد من الله تعالى يقع في الآخرة وجاء في صيغة المحقق الموجود .

وعند الحديث عن التركيب الإضافي "مقنعي رؤوسهم" سبق الحديث عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ (الأنبياء : ٦٥) وهى تصف نكس المشركين من قوم إبراهيم عليه السلام رؤوسهم في الدنيا بعد إقامة الحجة عليهم ، لكنهم استمروا في العناد وأرادوا حرق نبيهم ، وقد تحدّثت عن العلاقة بين إبراهيم - عليه السلام - وقومه من جهة وبين كفار مكة المعنيين بالتركيب (مقنعي رؤوسهم) وتركيب (ناكسوا رؤوسهم) من جهة أخرى .

فالمشركون نكسوا رؤوسهم في الدنيا واستمروا في العناد فجاء الوعيد في الآخرة (المستقبل) بنكس الرأس في صيغة الإضافة الدالة على الزمن

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٥٣٨/٣

الماضي (ناكسوا رؤوسهم) لمسوّغ التذكير بفعلهم في الماضي وهو مثل ما يُفعل بهم في المستقبل .

ونجد في السياق تركيب (ناكسوا رؤوسهم عند ربهم) في سورة السجدة أمراً آخر مأخوذاً من تخصيص مكان نكس الرأس (عند ربهم) .

لقد سبق آية (ناكسوا رؤوسهم عند ربهم) قوله تعالى واصفاً المشركين في الدنيا ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ (السجدة: ١٠) فلما كان الكافرون يكفرون بقاء ربهم في الدنيا جاء التأكيد على نكس رؤوسهم عند ربهم ، تأكيداً على تحقق هذا الفعل الذي يكفرون به .

وفي سياق التركيب الإضافي (ناكسوا رؤوسهم) في سورة السجدة يأتي الحديث عن السجود وهو للمؤمنين في مقابل فعل الكافرين في الدنيا ، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (السجدة: ١٥) وسجود المؤمن إيماناً بآيات الله يقابله رفض الكافر أن يؤمن بآيات الله ، مع أن الكافر أقيمت عليه الحجة ، فنكس رأسه في الدنيا لإقامة الحجة عليه ، واستمر في عناده ، ورفض الإيمان بالله وآياته ولقائه، ورفض السجود لله.

فالأصل في الوعيد بنكس الرأس الصيغة العاملة (ناكسون رؤوسهم) لدلالة الوعيد على الزمن المستقبل (في الآخرة) فجاء العدول عن الأصل إلى صيغة الإضافة الدالة على الزمن الماضي ليؤكد للكفار تحقق الوعيد في المستقبل ، ولا غرابة في ذلك إذ أن الكفار قد نكسوا رؤوسهم في الماضي (الدنيا) لإقامة الحجة عليهم لكنهم لم يؤمنوا ، وطلب منهم السجود (الذي يشبه تنكيس الرأس) كما يسجد المؤمنون إذا ذكروا بآيات الله لكن الكفار رفضوا أن تسجد رؤوسهم في الدنيا (الماضي) فجاء العقاب بنكس رؤوسهم في المستقبل في صيغة الماضي ، ليبين الله تعالى أن الجزاء في المستقبل لاحقٌ بالعمل في الماضي فكان الجزاء مشاكلاً للعمل ، فالجزاء من جنس العمل .

## موهن :

جاء اسم الفاعل "موهن" مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ (الأنفال: ١٧-١٨).

يقول الزمخشري عن قوله تعالى: "مُوهِنٌ كَيْدٌ": ((وُقِرَى عَلَى الإِضَافَةِ، وَعَلَى الأَصْلِ الَّذِي هُوَ التَّنْوِينُ وَالِإِعْمَالُ))<sup>(١)</sup> ويعلّل البنا الإضافة بأنها: (( بالتخفيف من غير تنوين ))<sup>(٢)</sup>.

وسورة الأنفال التي جاء فيها التركيب الإضافي "موهن كيد" (( نزلت في بدر ))<sup>(٣)</sup> ، والسورة تتحدّث عن النصر والغنائم ، وهما نتيجة ما تحقق يوم بدر ، وفي هذا السياق جاء قوله تعالى: ﴿ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ مبشراً بإضعاف الكافرين في المستقبل ، يقول ابن كثير: (( وقوله: ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر ، أنّه أعلمهم تعالى بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل ))<sup>(٤)</sup>.

فالآية الكريمة بشارة بكسر شوكة المشركين ، واستمرار هزيمتهم - بعد النصر الأول في بدر - بنصرة الإسلام بالفتح المبين .

ولعلّ ما يشير إلى أنّ "موهن كيد الكافرين" بشارة بالفتح ، مجيء لفظ "الفتح" في الآية التي تليها ، يقول تعالى: ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُوذُوا نَعُدْ ﴾ (الأنفال: ١٩) وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لمعنى "تستفتحوا": (( كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة ، فاستنصروا الله وقالوا: اللهم أنصر أعلى الجندين ، وأكرم

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٢٤٦/٢

(٢) البنا ، إتحاف فضلاء البشر ، ٢٩٧

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣/٤

(٤) نفسه ، ١٨/٤

الفئتين ، وخير القبيلتين . فقال الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ يقول: قد نصرت ما قلتم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ((<sup>(1)</sup>).

فالفتح الذي جاء للمشركين كان نصر بدر ، وآية "موهن كيد الكافرين" بشارة بنصر من الله تعالى يقضي على الشرك ، فهو فتح آخر ، هو الفتح المبين لمكة ، فالسياق الذي يبشر بفتح مكة يسمى نصر بدر بالفتح ، وهو ليس مجرد إطلاق للفظ "الفتح" على نصر بدر من باب مدح هذا النصر ، وإنما تسمية لنصر بدر بالفتح من استفتاح المشركين ، أي طلبهم النصر من الله ؛ لتكون تسمية نصر بدر بالفتح مقبولة ومعترفاً بها من المخاطبين مسلمين ومشركين ، ثم تُبنى عليها البشارة بالفتح المبين ، غير الموجود وغير المعترف به وقتها .

فالقرآن الكريم لا يأتي بالمشاكلة على إطلاقها ، وإنما بينها على أساس مقبول .

وعليه يدرك مسوغ الإضافة ، فإذا كان الأصل التثوين: "وأن الله موهن كيد الكافرين" لأنه وعد من الله لما يحدث في المستقبل ، فإنه جاء في صيغة الإضافة "موهن كيد" تأكيداً على تحققه ، فهو كالمحقق الموجود ، سوّغه حديث السياق عن أول نصر (فتح) للمسلمين ، فلما كان هذا النصر (نصر بدر) موجوداً ، بيّن أنه ليس بمعجز على الله تعالى تحقيق وعده في المستقبل بفتح مكة والقضاء على الشرك .

فجاء الوعد بصيغة الإضافة بمسوّغ تحقق نصر (فتح) مماثل ، لداعي التأكيد على توالي النصر حتى زمن الفتح المبين.

(<sup>1</sup>) نفسه ، ١٩/٤

## ثانياً: العدول عن تنوين اسم الفاعل لاقتراب وقوع الحدث :

ويأتي السياق بالعدول إلى التركيب الإضافي عن تنوين اسم الفاعل تأكيداً على وقوعه لاقتراب وقوع هذا الحدث وظهور بشارته ، وهو مسوغ العدول إلى التراكيب الإضافية الآتية:

**متم :**

جاء اسم الفاعل "متم" مرة واحدة ، يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (الصف : ٧-٨).

وهي قراءة (( ابن كثير ، وحفص ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ... والباقون بالتنوين والنصب على إعمال اسم الفاعل ، كما هو الأصل ))<sup>(١)</sup> وقد تشابهت آية الصف "متم نوره" مع قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (التوبة: ٣٢). وكلاهما في سياق يتحدث عن فتح مكة وأهل الكتاب ، غير أن سورة التوبة تتحدث عن امتلاك المسلمين أمر مكة فالسورة نزلت بعد فتح مكة ، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (التوبة: ٢٨) وبعدها الحديث عن قتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية .

بينما جاء التركيب الإضافي "متم نوره" في سورة الصف مع حث المؤمنين على الجهاد والبشارة لهم بفتح مكة، يقول تعالى: ﴿ وَأُخْرَى نُحِبُّنَهَا

(١) البنا ، اتحاف فضلاء البشر ، ٥٤١



نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَقَدْ فَتِحَ قُرَيْبٌ وَبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (الصف: ١٣) يقول الزمخشري:  
(أي عاجلاً وهو فتح مكة))<sup>(١)</sup>.

فسورة الصف نزلت قبل فتح مكة أي قبل سورة التوبة ، فترتيب نزول  
السورة كما ذكره السيوطي: ((الصف ثم الفتح ثم المائدة ثم التوبة))<sup>(٢)</sup> فسورة  
الصف قبل بيعة الرضوان و عمرة الحديبية .

ولذلك ذكر الرازي أن المقصود بالكافرين في آية الصف: (( الحاسدين  
للسول (عليه السلام) كان أكثرهم من قريش وهم المشركون ))<sup>(٣)</sup> وذكر أن  
المقصود بالكافرين في آية التوبة: (( رؤساء اليهود والنصارى ))<sup>(٤)</sup>.

فقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ بعد  
انتصار المسلمين على الشرك ، وفتحهم لمكة ، فجاءت دلالة الفعل المتجدد في  
الحال والاستقبال ليفيد قتال اليهود والنصارى والغلبة عليهم ، ومعاداة اليهود  
والنصارى معادة متجددة لم تنته ، لذا جاء الفعل "يتم" ليفيد تجدد الإتمام (البقاء  
والنصر) بتجدد العداة .

وجاء العدول إلى التركيب الإضافي في آية الصف "متمّ نوره" مبشراً  
بالفتح القريب ، إفادة الماضي المستمر أثره لداعي معاملة فتح مكة معاملة  
المتحقق الموجود ، بغرض التأكيد على الفتح وقربه ، لحث المؤمنين على  
الصبر والجهاد ، ولداعي استمرار أثر الفتح "نوره" لأنه فتح لا ينتهي بانتهاء  
الحدث ، ففتح مكة وبقائها على التوحيد إلى يوم الدين .

(١) الزمخشري: الكشاف ، ٣٨٩/٤ ،

(٢) السيوطي ، الإتقان ، ٢٥/١ ،

(٣) الرازي ، التفسير الكبير ، ٤٠/١٨ ،

(٤) نفسه ، ٣١٦/٢٩ ،

## جاعل :

جاء اسم الفاعل "جاعل" مضافاً للاسم الظاهر مرتين ، المرة الأولى في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ \* إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران : ٥٤-٥٥).

والآية خطاب من الله تعالى لعيسى -عليه السلام- لما سيحدث في المستقبل ، فيدل ذلك على أن أصل التركيب الإضافي التنوين "جاعلُ الذين".

يقول الزمخشري عن معنى قوله تعالى: ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: ((يعلونهم بالحجة ، وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف ، ومتبعوه هم المسلمون ؛ لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع ، دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى))<sup>(١)</sup>.

فالمراد أن الله تعالى سيجعل أتباع الحق فوق الكفار ، فهو وعد من الله للمؤمنين بالدين الحق ، يقول ابن كثير: (( فلهذا لما كانوا (أي: المسلمون) هم المؤمنون بالمسيح حقاً سلبوا النصارى بلاد الشام وأجؤوهم إلى الروم ، فلجؤوا إلى مدينتهم القسطنطينية ، ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة ، وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية ))<sup>(٢)</sup>.

فالآية جاءت في مقام طمأننة الله تعالى لنبيه من مكر الكفار ، وهي بشرى للمؤمنين بالنصر ، وتأكيد من الله على تأييده للمؤمنين بالحجة الواضحة والدين الحق .

ولذلك جاء هذا المعنى الذي يتحقق في زمن الحال والاستقبال (فأصله التنوين) في صيغة الإضافة لتدل على نفوذ حكم الله ، وتحقق نصره للمؤمنين ،

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٣٢٣/١

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٩/٢

وتأكيدًا منه سبحانه لأنبيائه وللمؤمنين على حفظه وتأبيده لهم دون استبطاء ،  
فجعل المستقبل في صيغة الماضي المتحقق تأكيدًا على وقوعه .

بينما جاء اسم الفاعل "جاعل" منوئًا عاملاً مرة واحدة ، وذلك في قوله  
تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا  
مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ (البقرة: ٣٠) ، وتنوين اسم الفاعل "جاعل" لأن  
المراد زمن الاستقبال ، ولا يوجد داع للعدول ؛ فالمقام مقام إخبار للملائكة  
غرضه عرض الأمر عليهم على وجه يتيح لهم التعجب والتخوف من جعل  
خليفة في الأرض ، يقول الزمخشري: (( فإن قلت: لأي غرض أخبرهم بذلك ؟  
قلت: ليسألوا ذلك السؤال (أتجعل .... ؟) ويجابوا بما أجيبوا به ، فيعرفوا حكمته  
في استخلافهم قبل كونهم ... وقيل : ليعلم عباده المشاورة في أمورهم ... وإن  
كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيًا عن المشاورة ))<sup>(١)</sup>.

فلم يأت اسم الفاعل "جاعل" - هنا - مضافًا وجاء منوئًا على الأصل ؛  
ليتيح للملائكة استفهامهم .

فمقام التركيب الإضافي "جاعلُ الذين" مقام طمأنة الله لنبيه ، والتأكيد  
على نصره للمؤمنين فعدل إلى صيغة الإضافة كي يكون النصر الموعود به في  
المستقبل كالمحقق الموجود.

أما مقام اسم الفاعل المنون "جاعلٌ في الأرض خليفة" إنما هو مقام  
عرض الأمر على الملائكة على وجه يتيح لهم التعجب منه ، فلا يوجد داعي  
التأكيد الذي يجعل ما يحدث في المستقبل كالمحقق الموجود ، فجاء المعنى في  
صيغته الأصلية التي تفيد وقوعه في الزمن المستقبل .

هذا أمر ، والأمر الآخر: أن التركيب الإضافي جاء مع تعاقب أحداث  
رفع الله لعيسى عليه السلام ونجاته من الكفار ، فنصر الله لمن اتبعوه يكون  
على وجه التحقق والتأكيد دون استبطاء .

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ١١٨/١

أما التنوين مع "جاعلٌ في الأرض خليفة" فإنه جاء لهبوط آدم عليه السلام إلى الأرض، وكان ذلك بعد زمن من خلقه ، وأحداث معصيته ؛ فجاء التنوين -على الأصل- ليفيد وقوع هبوط آدم إلى الأرض في الزمن المستقبل بعد أحداثٍ يحكيها السياق .

أما المرة الثانية التي جاء فيها اسم الفاعل "جاعل" مضافاً للاسم الظاهر فهي في قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ (فاطر: ١) والسياق يشير إلى الخلق بقوله تعالى: (فاطر) ، وقوله: (يزيد في الخلق).

ويذكر قوله: (مثنى وثلاث ورباع) بسبب الخلق في قوله: ﴿ فَأَنكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مثنى وثلاث ورباع ﴾ (النساء : ٣).

ولعل مجيء التركيب الإضافي "جاعل الملائكة" مع دلالة الخلق يربط بينه وبين التركيب الإضافي "جاعل الذين" ؛ إذ جاء الأخير مع عيسى عليه السلام ، وقد خلقه الله تعالى من غير أبٍ إظهاراً لقدرته سبحانه على الخلق ، كما أن عيسى والملائكة رسل أحياء في السماء.

فدلالة "جاعل الملائكة" دلالة على الخلق في الزمن الماضي المستمر ، فالإضافة هي الصيغة الأصلية لهذه الدلالة ، فإضافة اسم الفاعل -هنا- إضافة محضة ليست عدولاً عن التنوين .

### مخزي:

جاء اسم الفاعل "مخزي" مرّة واحدة ، وذلك في قوله تعالى :  
﴿ فسيحوا في الأرض أربعة أشهرٍ واعلموا أنّكم غيرُ معجزِي الله وأنّ الله مُخزي الكافرين ﴾ (التوبة : ٢) وهي في سياق نصر الله للمؤمنين ، ووقوع الخزي على الكافرين.

وشرح ذلك عند الحديث عن تركيب "معجزي الله" -إن شاء الله- في هذا المبحث.

### مخلف:

جاء اسم الفاعل "مخلف" مرّة واحدة ، وذلك في قوله تعالى:  
﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ \* فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ (إبراهيم : ٤٦-٤٧).  
والوفاء بالوعد أو إخلافه يكون في المستقبل يقول ابن كثير عن معنى  
﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾: (( أي من نصرتهم في الحياة الدنيا  
ويوم يقوم الأشهاد ))<sup>(١)</sup>.

فالأصل التنوين "مخلفٌ وعده رسله" وجاء المعنى في صيغة الإضافة  
لإفادة تحقق واستمرارهم نفي إخلاف الوعد .

ويشير الزمخشري إلى وجود دلالة التأكيد على نفي إخلاف الوعد من  
تقديم "وعده" فيقول: (( فإن قلت: هلا قيل: "مخلف رسله وعده" ؟ ولم قدم  
المفعول الثاني على الأول ؟ قلت: قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً ،  
كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (الرعد: ٣١) ثم قال: "رساله" ليؤذن  
أنه إذا لم يخلف وعده أحدًا ، وليس من شأنه إخلاف المواعيد ، كيف يخلف  
رساله الذين هم خيرته وصفوته ))<sup>(٢)</sup>.

إن الزمخشري يرى أن تقديم لفظ وعده تأكيداً لنفي إخلاف الوعد، وأنه  
- سبحانه - ليس من شأنه ذلك أصلاً ، فضلاً عن كون المواعدين بالنصر  
والنجاة من المكر هم رسله.

ولكن هل هذا التأكيد الذي لمسه الزمخشري راجع إلى مجرد التقديم ،  
أم أن تقديم لفظ "وعده" جعل اللفظ في موقع المضاف إليه -فهو تركيب اسمي-  
بدلاً من كونه - في حال تأخره- معمولاً ، فيقع عليه العمل الفعلي المفيد التجدد؟

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٩٦/٤ ،  
(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ٥٤٨/٢

وأياً ما كان الأمر فإن ما قاله الزمخشري من وجود دلالة نفى إخلاف الوعد أصلاً قول يتفق مع دلالة العدول إلى الإضافة ، فدلالة العدول إلى الإضافة غرضه التأكيد على تحقق الوعد ، مراعاةً لسياق الذي يتحدث عن مكر الكفار بالرسول ، فجاء الوعد كالمحقق الموجود طمأنة للرسول .

لقد جاء التركيب الإضافي "فلا تحسبن الله مخلفاً وعده رسله" بعد آية تفيد مكر الكفار بأنبياء الله ، وإحاطة الله سبحانه بهذا المكر ، فالسياق يتطلب التأكيد على عدم إخلاف الله وعده لرسله على وجه التحقق دون استبطاء ، وهو يذكر بالتركيب الإضافي ﴿ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (آل عمران: ٥٥) إذ جاء في سياق في قوله تعالى: ﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّئِمِ ﴾ (آل عمران : ٥٤) فاستلزم السياق التأكيد على نصر الله لأتباعه دون استبطاء ؛ فهو نصر كالموجود المتحقق ، بينما جاء التنوين مع تركيب ﴿ جَاعِلُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة: ٣٠) لأن المقام مقام عرض على الملائكة، ولأن السياق سيذكر أحداثاً قبل نزول آدم إلى الأرض .

وهنا في سورة إبراهيم جاء التركيب الإضافي في قوله: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدِّهِ رُسُلَهُ ﴾ في سياق الحديث عن مكر الكفار: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ فاستلزم السياق -أيضاً- التأكيد على نصر الله لرسله، ونجاتهم من مكر الكفار كما أنجى عيسى عليه السلام في سياق آية آل عمران .

فجاء معنى عدم إخلاف الوعد بالنجاة والنصر في صيغة الإضافة ليكون كالمحقق الموجود ، تأكيداً على حصوله في الحال أو الاستقبال .

بينما جاء معنى عدم إخلاف الوعد في الصيغة الأصلية الدالة على الحال أو الاستقبال في الآيات الآتية:

١- ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴾  
(آل عمران: ٩).

٢- ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ  
الْمِعَادَ ﴾ (آل عمران : ١٩٤).

٣- ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ  
حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴾ (الرعد : ٣١).

٤- ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴾ (الزمر : ٢٠).

٥- ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ  
مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (الحج : ٤٧).

ففي المواضع السابقة يظهر أن الوعد وعدُّ بالجزاء المتأخر عن العمل في  
الحياة الدنيا.

٦- ﴿ فِي يَضَعُ سِنِينََ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ  
اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ \* وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾  
(الروم: ٤-٦).

وهنا يظهر أن هناك فترة زمنية (بضع سنين) بين وعد الله تحفته .  
وكذلك مع عهد الله جاء تحفته متأخرًا ، لأنه عهد بالجزاء في الآخرة ،  
يقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن نَّمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا  
فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾ (البقرة : ٨٠).

فالسياقات التي جاء فيها معنى عدم إخلاف الوعد بصيغة الفعل  
المضارع الدالّ على الحال أو الاستقبال تدل على وقوع الجزاء (الموعد به)

متأخرًا عن فترة عملهم في الدنيا، فتحقق الوعد بعد فترة زمنية من الوعد ، فجاءت الصيغة الأصلية الدالة على الحال أو الاستقبال لتفيد تحقق الوعد متأخرًا عن وقت الوعد.

وهذا هو الفرق بين هذه السياقات وسياق التركيب الإضافي في سورة إبراهيم ، إذ استدعى سياق التركيب الإضافي التأكيد على تحقق الوعد على وجه السرعة دون استبطاء فهو كالمحقق الموجود ؛ لأن السياق يتحدث عن مكر الكفار برسول الله ، فجاء الخطاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم مطمئنًا ومؤكدًا بأن وعد الله لرسله كالمحقق الموجود.

وقد يقال: لماذا لم تأتِ السياقات الدالة على الجزاء في الآخرة بصيغة الإضافة تأكيدًا على عدم إخلاف الوعد بالجزاء ، فهو كالمحقق الموجود؟ والإجابة: صحيح أن معنى الجزاء يقبل ذلك ، لكن السياق القرآني لم يعدل إلى الإضافة في سياقات الوعد بالجزاء وجاءت بالصيغة الدالة على الحال أو الاستقبال (الصيغة الأصلية) لأمرين:

١- أن هذه السياقات تتحدث عن وعد الله بالجزاء المتأخر ، فهو حديث عن وعدٍ بالجزاء وليس الجزاء نفسه ، فروعياً في هذه السياقات معنى الوعد في تأخر تحققه عن وقت الوعد ، وهو الأصل ، فالسياق يريد أن يبين أن الجزاء متأخر عن وقت الوعد ، فما زال الجزاء وعدًا من الله للمخاطبين.

٢- السياقات القرآنية تعمد إلى صيغ تشير إلى الفرق بين مضامينها. فإذا كانت سياقات الجزاء المتأخر جاءت بنفي إخلاف الوعد في صورته الأصلية ، فإن السياق الذي يتحدث عن مكر الكفار بالرسول وإحاطة الله بمكرهم جاء بالتركيب الإضافي، ليبين لنا السياق القرآني الفرق بين تأخر وقوع الوعد (فهو جزاء في الآخرة أو بعد فترة من الزمن) وبين سرعة وقوع الوعد فيما يخص نجات رسول الله ونصر دعوتهم.



فحَقًّا يقبل معنى وقوع الجزاء في الآخرة التأكيد بالإضافة ، لكن القرآن الكريم يراعى كل مواضعه ، فأراد أن يفرق بين وعدين ، أحدهما بعد فترة من الزمن ، والآخر لرسول الله دون استبطاء ، فبين بذلك أن هناك وعدًا أكثر استحقاقًا لصيغة المتحقق الموجود .

فالعَدول عن تنوين اسم الفاعل إلى إضافته في تركيب "مخلف وعده" غرضه التأكيد على تحقق الوعد بجعله كالماضي المتحقق الموجود ، لأنه وعد بنجاة رسل الله من مكر الكفار لهم .

## ظالم:

جاء اسم الفاعل "ظالم" مضافًا مرتين ، وذلك في قوله تعالى :

١- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (النساء : ٩٧)

٢- ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ (النحل: ٢٨)

يقول الرازي: (( والمعنى: تتوفاهم الملائكة في حال ظلمهم أنفسهم ، وهو وإن أضيف إلى المعرفة إلا أنه نكرة في الحقيقة ، لأن المعنى على الانفصال ، كأنه قيل: ظالمين أنفسهم، إلا أنهم حذفوا النون طلبًا للخفة ، واسم الفاعل سواء أريد به الحال أو الاستقبال يكون مفصلاً في المعنى ، وإن كان موصولاً في اللفظ ))<sup>(١)</sup> فليس فالمراد في الآيتين الظلم في الزمن الماضي ، وإلا كانت الصياغة: "إِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ" فإضافة "ظالمي أنفسهم" في الآيتين إضافة لفظية ، أصلها "ظالمين أنفسهم"

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ١٢/١١

لأن "ظالمي" حالٌ نكرة ، ووقوع "ظالمي" حالاً يفيد أن الموت جاء لهؤلاء الظالمين حال ظلمهم، فالسياق يعمد إلى وصف حالهم بالمصريين على الظلم عند مجيء الموت، ولم يهتدوا إلى التوبة .

وقد جاء التركيب الإضافي في سياق من تتوفاه الملائكة ، فقد قرب عمله وعمره على الانتهاء ، مع بقاء حياته ، فمسوخ العدول إلى التركيب الإضافي قرب انتهاء حياة الظالمين ، وكأنه انتهى عملهم ، وقد ظلموا أنفسهم وجاءهم الحساب .

### فالسباق يريد الجمع بين دالتين:

الأولى: مجيء الموت حال ظلمهم مصريين عليه دون توبة ، لذا جاء اسم الفاعل حالاً، وهي دلالة الصيغة الأصلية التي تفيد زمن الحال .

الثانية: انتهاء قدرتهم على العمل وقرب انتهاء عمرهم ، وعدم السماح لهم بترك الظلم ، فوقت توفي الملائكة لهم لا يسمح فيه بالتوبة ، فجاءت صيغة الإضافة كأنّ وصفهم بالظلم تحقق لهم على وجه الحصول في الزمن الماضي ، فدلّ على مضي الوصف بالظلم وثبوته ، وإن كان ظلمهم في زمن الحال لوفاة الملائكة لهم .

وقد جاء اسم الفاعل "ظالم" منوّناً ثلاث مرات ، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَدَخَلَ جَنَّةً وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ (الكهف: ٣٥)

٢- ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ

وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ (فاطر : ٣٢)

٣- ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ

مُبِينٌ ﴾ (الصافات: ١١٣)

والملاحظ أن اسم الفاعل المنون تعدى إلى المفعول به بحرف الجر "لنفسه" ؛ ليفيد أن الظالم وقت فعله الظلم لا يريد على نفسه ، أي: ضدها ، فلم يأت لفظ "نفسه" مفعولاً به يقع الفعل عليه ، وإنما جاء مجروراً بحرف الجر اللام ، أي: لها ولمتعته.

ويدل اسم الفاعل في الآيات الثلاث على الظلم في زمن الحال مع بقاء حياة الظالمين، والآيات تصف قدرة الظالمين على العمل ، وحدوث العمل في مقابل الإحسان ، فجاءت الدلالة الفعلية مع التنوين على الأصل ، لعدم وجود داع للإضافة ، كلزوم الظلم ، وقرب انتهاء القدرة على العمل ، كما هو في "ظالمي أنفسهم".

### معجز:

جاء اسم الفاعل "معجز" مرتين ، وذلك في أول سورة التوبة، يقول تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ\* وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٢-٣)

وقد ذكر ابن كثير أن سورة التوبة آخر سورة نزلت ، وذلك سنة تسع من الهجرة ، وأن سبب نزول هذه الآيات ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم ((لما رجع من غزوة تبوك هم بالحج ، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عاداتهم في ذلك ، وأنهم يطوفون بالبيت عراة ، فكره مخالطتهم، وبعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج تلك السنة ليقوم للناس مناسكهم ويعلم المشركين ألا يحجوا بعد عامهم هذا))<sup>(١)</sup>.

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٥٩/٤

ويظهر من سبب نزول الآيات أنها نزلت عندما بلغ الإسلام مبلغًا عظيمًا ، وهي بعد فتح مكة ، وتُبيِّن الآيات أنّ المسلمين يُملون شروطهم على المشركين ويمهلونهم .

وتركيب "غير معجزي الله" جاء مع الوعيد للمشركين بانتهاء أمرهم من مكة بعد الإمهال ، فهو يحلّ بهم في المستقبل ، فمعنى قوله تعالى: ﴿ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ كما يقول الزمخشري: (( لا تفوتونه وإنّ أمهلكم ، وهو مخزيكم، أي: مذلكم في الدنيا بالقتل ، وفي الآخرة بالعذاب ))<sup>(١)</sup>.

والوعيد يكون بما يأتي في الزمن المستقبل ، فصيغته الأصلية الصيغة العاملة: "غير معجزين الله" ، وإنما جاءت في صيغة الإضافة الدالة على الزمن الماضي لأنّ لها مسوّغًا ، هو: نصر الله المسلمين بالفتح الذي قوّض الشرك وهزم أهله -المخاطبين في الآية- فعمل ما هو وعيد مستقبل معاملة المتحقق الموجود ؛ لوجود مثيل له (فتح مكة) ، ولاقتراب القضاء على مظاهر الشرك بعد الإمهال .

وقد جاء اسم الفاعل "معجز" منوئًا مرّة واحدة ، يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الأحقاف : ٣٢)

كما جاء اسم الفاعلين "معجزين" مقطوعًا عن الإضافة تسع مرات ، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (الأنعام : ١٣٤).

٢- ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾

(يونس: ٥٣)

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٢٧٧/٢

٣- ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ \* أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴿ (هود : ١٩-٢٠)

٤- ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (هود : ٣٣)

٥- ﴿ أَقَامِنَ الَّذِينَ مَكَّرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ \* أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿ (النحل : ٤٥-٤٦)

٦- ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (النور : ٥٧)

٧- ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (العنكبوت : ٢٢)

٨- ﴿ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (الزمر : ٥١)

٩- ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (الشورى : ٣١)

وجميع هذه الآيات للوعيد في المستقبل ، وجميعها في سور مكية ، إلا سورة النور فهي مدنية ، ونزلت بعد غزوة بني المصطلق التي كانت في شعبان سنة ستٍ من الهجرة ، فجميع هذه السور (التي جاء فيها اسم الفاعل "معجز" منوناً وبالنون) نزلت قبل سورة التوبة بزمن ، وقبل الفتح والإمهال ، واقتراب انتهاء الشرك في مكة .

والملاحظ في سياقات لفظ "معجز" (بالتنوين) ولفظ "معجزين" أنّ كل سياق منها يتوعدّ المشركين وهم في حال تمكين وأمن من مكر الله ، وقدرة على إيذاء رسل الله تعالى والسخرية بهم .

فالسياق يتوعدّهم وهم في مظاهر القوة والغلبة ؛ فجميع هذه المواضع

جاءت في سور مكية ، ما عدا سورة النور فهي مدنية ، وقد كان أهل مكة موضع غلبة في وقت نزولها أيضاً.

فسورة النور المدنية تحدثت عن قصة الإفك في أعقاب الرجوع من غزوة بني المصطلق التي كانت في شهر شعبان لسنة ست من الهجرة ، أي قبل صلح الحديبية الذي كان في شهر ذي الععدة سنة ست من الهجرة ، وهو الصلح الذي تمّ بين مشركي مكة والمسلمين ، بعد أن صدّ المشركون المسلمين عن العمرة ، وكانت بنود الصلح في ظاهرها لصالح المشركين<sup>(١)</sup> ، وهو يبيّن أن المشركين حتى هذا الوقت كانوا في موضع قوة وغلبة ، وهو مغايرٌ لحالهم بعد الفتح عند نزول سورة التوبة .

فجاء لفظ "معجز" المنوّن ولفظ "معجزين" مع دلالة غلبة الشرك ومظاهر قوته ، وهما بذلك وعيد في صيغته الأصلية الدالة على الزمن المستقبل ؛ لعدم وجود مسوِّغ للعدول إلى الإضافة ليكون الوعيد كالمحقق ، بينما جاء الوعيد في سورة التوبة في قوله "غير معجزى الله" بصيغة الإضافة ليكون الوعيد كالمحقق ، لمسوِّغ انتهاء قوة المشركين بالفتح وقرب القضاء عليهم.

فجاء العدول تأكيداً على وقوع الوعيد بالمشركين إذ ظهرت بشائره ، وفرحاً بما حققه المسلمون من فتح مبين .

وقد جاء مع الوعيد في "غير معجزى الله" تركيباً "مخزي الكافرين" وهو وعيدٌ في صورة المتحقق ، مثل "غير معجزى الله" للمسوِّغ نفسه .

---

(١) انظر: المباركفوري ، الرحيق المختوم ، صفحة ٣٣١ تحدث عن غزوة بني المصطلق ونزول سورة النور متحدثاً عن قصة الإفك. وفي الكتاب نفسه ، صفحة ٣٤٢ تحدث عن صلح الحديبية وبنوده.

**ثالثاً: العدول عن تنوين اسم الفاعل لضرورة وجود الحدث أو ترتبه على**

**ما مضى :**

ويأتي التأكيد على وقوع ما هو في الحال والاستقبال بالعدول إلى الإضافة لمسوغ ضرورة وجود الحدث الذي يقع في الحال أو الاستقبال ، والعدول بذلك يكشف عن هذه الضرورة ، وهو ما يوجد في تراكيب هذا المبحث.

**متخذ:**

جاء اسم الفاعل "متخذ" ثلاث مرات ، مرتان في التركيب الإضافي "متخذات أخدان" والتركيب الإضافي "متخذي أخدان" وسيأتي الحديث عنهما في المبحث السادس إن شاء الله تعالى.

والمرّة الثالثة التي جاء فيها اسم الفاعل "متخذ" مضافاً كانت في التركيب الإضافي "متخذ المضلين" في قوله تعالى: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ (الكهف: ٥١).

يقول الزمخشري: (( بمعنى وما كنت متخذهم عضداً أي: أعواناً ، فوضع "المضلين" موضع الضمير ذمّاً لهم بالإضلال ؛ فإذا لم يكونوا عضداً لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة ؟ وقرأ علي -رضي الله عنه- "وما كنت متخذاً المضلين" بالتنوين على الأصل))<sup>(١)</sup>.

فتركيب "متخذ المضلين" يدلّ على نفي اتخاذ الأعوان في الخلق من الأزل ، فهي دلالة في الزمن الماضي توافق دلالة الإضافة على الزمن الماضي، فالتركيب في صورته الأصلية ، أي أن الإضافة محضة.

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٦٤/٣

أما على القول بأن أصل التركيب الإضافي التنوين ، فإن نفي اتخاذ المضلين أعاونًا يكون في زمن الحال أو الاستقبال ، أي: بعد خلق هؤلاء المضلين ، فانه لم يشهدهم خلق أنفسهم ، فلم يكن المضلون موجودين في الزمن الماضي ليكونوا أعاونًا فيه ، والله لن يتخذهم أعاونًا في الحال أو المستقبل بعد خلقهم فدلالة الحال والاستقبال (على أن أصل الإضافة التنوين) جاءت من أن الآية تذكر أن المضلين غير موجودين في زمن الخلق ، فيكون اتخاذهم أعاونًا بعد زمن الخلق ، أي في زمن متقدم على الزمن الماضي ، أي في زمن الحال أو الاستقبال .

ليكون المعنى: أن الله تعالى لم يُشهد المضلين خلق السماوات ولا الأرض ولا خلق أنفسهم فيما مضى ، لأن المضلين غير موجودين أولاً ، ولم يكن الله تعالى ليجعلهم عضدًا (أعاونًا وشركاء) فيما بعد خلقهم ، أي في الحال أو المستقبل ، وعليه يكون أصل التركيب الإضافي التنوين "متخذًا المضلين".

والإتخاذ مصدر "متخذ" يأتي بعد الخلق ، فيظهر أن الإتخاذ جعل الشيء لما ليس له هذا الجعل أصلاً ، فنجد قوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (البقرة: ١٢٤) لأنه ليس تغييرًا لجعل سابق ، بينما نجد قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء: ١٢٥) لأنه أبعد في الجعل من أن يكون إبراهيم إمامًا.

وهذا يُبين أن معنى "متخذ المضلين عضدًا" يشتمل على أمرين:

١- إتخاذ العون .

٢- جعل الضلال عونًا، وهو أبعد من إتخاذ العون .

لذا جاء نفي الوصف في التركيب الإضافي لتأكيد سنة قام عليها الخلق والكون ، وهي سنة قيامه على الحق والعدل ، وهي سنة دائمة مقررة أزلاً .



فإن كان نفي اتخاذ المضلين نفيًا في زمن الحال لخلقهم (فالأصل فيه التنوين الدالّ على زمن الحال أو الاستقبال) فإن العدول عن التنوين إلى الإضافة ليبيّن أن عدم اتخاذ المضلين وإن كان نفيًا في زمن الحال أو الاستقبال، إلا أنه -أيضاً- نفي لأن يكون الله تعالى متخذًا الضلال في خلقه القائم على الحق، فهو نفي أزلي وإن تعلق ظهور ذلك النفي بزمن الحال والاستقبال.

## مالك :

جاء اسم الفاعل "مالك" مضافًا مرتين:

الأولى في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ \* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٢-٤).

وقد ذهب الزمخشري إلى أنها إضافة حقيقية ، يقول: (( فإن قلت: فإضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية ، فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة لمعرفة؟ قلت: إنما تكون غير حقيقية إذا أُريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال ، فكان في تقدير الانفصال كقولك: "مالكُ الساعةِ أو غدًا" ، أما إذا قصد معنى الماضي كقولك: "مالكُ عبده أمس" ، أو زمانٌ مستمر كقولك: "زيدُ مالكُ العبيد" ، كانت الإضافة حقيقية ، كقولك: "مولى العبيد" ، وهذا هو المعنى في ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ((<sup>١)</sup>).

فالزمخشري ينظر إلى الوصف "مالك" في كونه صفة لله تعالى ، فهو سبحانه مالك كلّ شيء أزلاً وأبداً ، فملكه -عند الزمخشري- ليوم الدين إضافة حقيقية (أصلية وليست عدولاً) لأن صفة "مالك" توجد في الزمن الماضي المستمر ، كوصفٍ ، وإن تحقق هذا الملك في الزمن المستقبل بوجود المملوك.

(<sup>١</sup>) الزمخشري ، الكشاف ، ١٨/١

أمّا الرازي فقد ذهب إلى أنّ الإضافة غير حقيقية ، أصلها: "مالكٌ يومَ الدين" بالتثوين، وجاء اسم الفاعل مضافاً لداعٍ بلاغي ، والرازي ينظر في رأيه إلى المعنى الفعلي في "مالك" ، وإلى تحقق هذا الملك بوقوعه على المفعول به "يوم الدين" بصرف النظر عن كونه "مالك" صفةً إلهية لها وجود في الذات العلية ، فيقول الرازي: (( إن قيل: أنّ المالك لا يكون مالكاً للشيء إلا إذا كان المملوك موجوداً ، والقيامة غير موجودة في الحال ، فلا يكون الله مالكاً ليوم الدين ، بل الواجب أن يُقال: "مالكٌ يومَ الدين" بدليل أنه لو قال: "أنا قاتلُ زيدٍ" فهذا إقرار ، ولو قال: "أنا قاتلُ زيداً" (بالتثوين) كان تهديداً ووعيداً. قلنا: الحق ما ذكرتهم ، إلا أنّ قيام الساعة لمّا كان أمراً حقاً لا يجوز الإخلال في حكمه ، جعل وجود القيامة كالأمر القائم في الحال ، الحاصل في الحال ))<sup>(١)</sup>.

فالمملوك هنا (يوم الدين) يقع في الزمن المستقبل ، ممّا يجعل التركيب الإضافي عدولاً عن أصل التثوين . والجميل في رأي الرازي أنه يتحدّث عن مسوِّغ العدول ، ولا يرجعه إلى قدرة الله على إيجاد يوم القيامة ، وإنما يرجعه إلى وجوب إيجاد يوم القيامة ؛ لأنه يوم الحساب (يوم الدين) بعد خلق الخلائق ، وهدايتهم ، وابتلائهم ، وبعثهم .

فمسوِّغ "الرازي" أن يوم القيامة كالمحقق الموجود لوجوب وجوده . وجاء النسفي بمسوِّغ آخر: (( وإنما ساغ وقوعه صفةً للمعرفة -مع أنّ إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية- لأنه أريد به الاستمرار ))<sup>(٢)</sup>.

ولا أرى خلافاً بين رأي الزمخشري من جهة ، ورأي الرازي والنسفي من جهة أخرى، فالرأي الأول ينظر إلى المجاز على أنه حقيقة لقوة المسوِّغ ، والرأي الثاني يراعي وجود أصلٍ للمعنى.

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ٢٣٥/١ ،

(٢) النسفي ، مدارك التنزيل ، ٢٠/١ ،

فمثل ذلك لفظ "الصلاة" ، فإطلاقه على الأفعال المخصوصة في الإسلام أصلٌ ، مع أن إطلاق لفظ "الصلاة" على الأفعال المخصوصة (التي تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم) في حقيقته مجاز ، لأن لفظ "الصلاة" في اللغة: الدعاء. فهو مجاز كالأصل لقوة المسوِّغ بتضمّن الصلاة المشروعة في الإسلام على الدعاء.

فالعُدول إلى الإضافة في تركيب "مالك يوم الدين" داعيه قوة وجوب تحقق هذا الملك للملوك ؛ لحكمة الخلق ، فهو كالأصل المتحقق الموجود. أما المرّة الثانية التي جاء فيها اسم الفاعل "مالك" مضافاً فهي في قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ (آل عمران : ٢٦). ومعنى "مالك الملك" كما يقول الزمخشري: ((تملك جنس الملك))<sup>(١)</sup> ؛ فهي صفة أزلية وأبدية ، متحققة على الدوام ، فإضافتها إضافة حقيقية ليست عدولاً عن التنوين .

(هادي) :

جاء اسم الفاعل "هادي" مضافاً ثلاث مرّات ، مرّة في تركيب "هادي الذين آمنوا" وجاء مرتين في تركيب "هادي العمي". وتركيب "هادي الذين آمنوا" جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ \* وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج : ٥٢-٥٤)

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٣٠٨/١

إنّ تركيب "هادي الذين آمنوا" جاء في سياق الحديث عن أحوال المؤمنين والمنافقين إزاء ما تشابه في الدين ، فمعناه كما يقول الزمخشري: ((أن يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ، ويطلبوا لما أشكل منه المجل الذي تقتضيه الأصول المحكمة ... وقرئ "الهاد الذي آمنوا" بالتنوين))<sup>(١)</sup>.

فالسّياق يدلّ على أنّ الهداية تحصل للمؤمنين في الحال أو المستقبل ، ومعنى السّياق هو الذي سوّغ مجيء الهداية في صيغة المتحقّق ، لأنّ السّياق يتحدّث عن تسليم المؤمنين بما هو متشابه ، والهداية لحكمته مستقبلاً ، وهو تسليم بُنيَ على الإيمان بكلّ ما أنزله الله على رسوله مسبقاً.

فالعُدول عن التنوين -وهو الأصل- "الهاد الذين آمنوا" إلى الإضافة ؛ سوّغه أن اهتداء المؤمنين إلى التسليم لما هو متشابه وتأويله تأويلاً صحيحاً (وهو في الحال والمستقبل أصله التنوين) بني على هداية الله لهم المسبقة بالإيمان بما أنزله الله تعالى ، وأنه الحقّ من عنده (وهي هداية في الزمن الماضي لنزول المتشابهات) فهديتهم في الزمن الماضي سوّغ مجيء هداية التسليم بما هو متشابه حالاً أو مستقبلاً في صيغة الزمن الماضي (الإضافة) لأنّ هداية التسليم بما هو متشابه مبنية وتابعة لهداية الإيمان بأنّ كل ما هو من عند الله حق ، فهديتهم بما هو متشابه واجبة التحقّق في الحال والاستقبال ، فهي كالمحقّق ، لأنها مبنية على إيمانهم المتحقّق بكل ما هو من عند الله .

ولم يأت مثل هذا المعنى مع الصيغة الدالة على الحال والاستقبال ، فقد جاء الفعل المضارع " يهدي " مع الدخول في الإسلام ، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة : ١٤٢).

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٢٣٢/٣ ،

كما جاء الفعل "يهدي" لهداية المؤمنين إلى الجنة بعد العمل الصالح ،  
مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (يونس : ٩).

أو مع هداية المؤمنين لفتح مكة ، يقول تعالى: ﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا  
مُسْتَقِيمًا ﴾ (الفتح: ٢٠).

فالهداية مع صيغة الحال أو الاستقبال انتقل إلى شيء جديد غير  
مسيوق للمهتدين، أمّا الهداية في "هادي الذين آمنوا" هداية التسليم في الحال  
والاستقبال لما آمنوا به من قبل.

أما تركيب "هادي العمي" الذي جاء مرتين فهو في قوله تعالى:

١- ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ نُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ  
مُسْلِمُونَ ﴾ (النمل : ٨١).

٢- ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ نُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ  
مُسْلِمُونَ ﴾ (الروم : ٥٣)

وتتوین اسم الفاعل "هادي" في موضعية -هنا- هو الأصل ، يقول  
الزمخشري: (( وقرئ: "ولا يسمع الصم ، وما أنت بهاد العمي" على  
الأصل))<sup>(١)</sup> وإضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية (لفظية) يقول البنا عن اسم  
الفاعل "هادي": (( مضافاً للعمي إضافة لفظية ، نحو: "بالغ الكعبة"))<sup>(٢)</sup>.

والتركيب الإضافي "هادي العمي" في سورة النمل جاء في سياق كفر  
بني إسرائيل بالقرآن ، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفْصَلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ  
الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل : ٧٦).

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٤٢٦/٣ ،  
(٢) البنا ، إتحاف فضلاء البشر ، ٤٣١

فجاء التعليل بنفي هدايتهم على الدوام كأنه ماضٍ مستمر (متحقق) لأنهم أولى من غيرهم بالإيمان ؛ فهم يؤمنون بالتنزيل ، ويعرفون الحق من قبل ، لكنهم - كعادتهم مسبقاً- ينكرون ويضلون غيرهم.

فالعُدول عن التنوين إلى صيغة الإضافة الدالة على نفي هدايتهم في الزمن الماضي المستمر تأكيداً على عدم إسلام اليهود وكفرهم بالقرآن ، فالعُدول جاء ليفيد أن الهداية ليست من شأنهم أصلاً ، فهم أهل قسوة وكفر ، تأكيداً على نفي هداية في الحال والاستقبال.

وهذا التعليل في شأنهم لأنهم كفروا بالقرآن مع علمهم بصدق التنزيل ، ووجود الوحي من الله مسبقاً.

وجاء التركيب الإضافي في سورة الروم لنفي هداية كفار قريش ، وقد جاء نفي هداية كفار قريش بصيغة الفعل المضارع في قوله تعالى:

١- ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يونس: ٤٣).

٢- ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (القصص : ٥٦).

٣- ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزخرف: ٤٠)

وهذه المواضع التي جاء فيها نفي الهداية لكفار قريش بصيغة الحال والاستقبال في سور مكية (يونس ، القصص ، الزخرف) متقدمة نزولاً على سورة الروم التي نزل فيها التركيب الإضافي "هادي العمي".

فسورة الروم متأخرة نزولاً في مكة ، فلم تنزل سور أخرى في مكة بعد سورة الروم إلا سورتي العنكبوت والمطففين<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: السيوطي ، الإتقان ، ٢٥/١

وتحدثت سورة الروم في أولها عن انتصار الروم على الفرس بعد بضع سنين ، وبضع سنين -هنا- تعنى: تسع سنين كما جاء في الروايات التي ذكرها ابن كثير في تفسيره: (( فمضت السبع ولم يكن شيء ... فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما بضع سنين عندكم ؟ قالوا: دون العشر. قال: اذهب وزايدهم وازدد سنتين في الأجل ))<sup>(١)</sup> أي ذد سنتين على سبع سنين ، فمعنى بضع سنين: تسع سنين.

ويقول ابن كثير: (( كان نصر الروم على فارس عام الحديبية ))<sup>(٢)</sup> أي العام السادس من الهجرة ، فتكون سورة الروم نزلت قبل العام السادس من الهجرة بتسع سنوات، أي نزلت قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم داعياً في مكة ثلاث عشرة سنة ، وهذا يدل على أن سورة الروم نزلت بعد دعوة الرسول للكفار مدة عشر سنوات ولم يهتدوا.

فالتغليظ بنفي هدايتهم على الدوام ، وجعله كالمحقق عن طريق الإضافة ؛ إنما سوغه طول فترة عنادهم ، فهي فترة تؤكد أنهم لن يستجيبوا للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولعل في ذلك إشارة إلى ضرورة انتقال الدعوة إلى مكان آخر. فهو مماثل لما قاله الله تعالى لنوح عليه السلام: ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَى نُوْحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ﴾ (هود: ٣٦).

فإذا كان المعنى ينفي هداية الرسول صلى الله عليه وسلم للعمي الميؤوس من هدايتهم في الحال أو الاستقبال ، فإن العدول عن الصيغة الأصلية للحال والاستقبال وهي التنوين ، إلى صيغة الإضافة الدالة على الزمن الماضي المستمر ؛ إنما هو عدول إلى نفي وجود الهداية لهم أصلاً، تأكيداً على عدم هدايتهم بعد طول فترة الدعوة ، فعدم هدايتهم في المستقبل كالمحقق الموجود ؛ لأن هؤلاء ليس من شأنهم الهداية وأنتم فيهم ، بدليل مكثك فيهم داعياً فترةً طويلةً ومع ذلك لم يهتدوا.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ١٢٥/٦  
(٢) نفسه ، ١٢٩/٦

وهنا يمكن ملاحظة التقارب بين مواضع اسم الفاعل "هادي" مضافاً:

فإضافة اسم الفاعل "هادي" في "هادى الذين آمنوا" لأنه جاء لهداية التسليم بالمتشابهات في الزمن المستقبل وهو مبني على تحقق إيمان المؤمنين بما هو من عند الله، وإضافة في "هادى العمي" إنما جاءت لنفي هداية بني إسرائيل ونفي هداية كفار مكة في الزمن المستقبل ، فهي مبالغة في تمسكهم بالكفر ، لأن تمسكهم بالكفر مبني على قسوتهم وطول فترة عنادهم ، مع علم بني إسرائيل المسبق بوجود التنزيل ، وعلم كفار قريش المسبق بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

فداعي العدول إلى الإضافة مع أن الهداية أو نفيها في المواضع الثلاثة حالاً أو مستقبلاً: أن تحقق الهداية أو نفيها في الحال أو المستقبل مبنيٌ وحاصلٌ على ما هو متحقق من هدايةٍ أو عنادٍ في الزمن الماضي.



## رابعاً: العدول عن تنوين اسم الفاعل تأكيداً على وقوعه للرد على

### الكفار وطمأنة الرسل:

ويؤكد السياق وقوع الحدث بالعدول عن تنوين اسم الفاعل إلى التركيب الإضافي ليرد بذلك على إيذاء الكفار للرسل ، وهو ما نجده في هذا المبحث.

### ذائق:

جاء اسم الفاعل "ذائق" مضافاً أربع مرات ، ثلاث منها في تركيب "ذائقة الموت" ، يقول تعالى:

١- ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ \* كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴾ (آل عمران: ١٨٣ - ١٨٥)

٢- ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ \* كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ \* وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ (الأنبياء: ٣٤-٣٦)

٣- ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون \* كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (العنكبوت: ٥٦-٥٧).

ولا يمكن أن يكون معنى التركيب الإضافي: كل نفس ذاق الموت - بدلالته على الماضي- فالتركيب الإضافي "ذائقة الموت" يفيد الاستقبال ، وهو ما يدل على أن أصل الإضافة -هنا- التنوين: "ذائقة الموت" ، يقول الزمخشري: ((وقرأ اليزيدي: "ذائقة الموت" على الأصل))<sup>(١)</sup> ، والعدول عن التنوين إلى الإضافة غرضه التأكيد على وقوع الموت فهو كالمحقق الموجود ، وله داعية في السياق.

(١) الزمخشري: الكشاف ، ٣٩٤/١

إن السياقات الثلاثة تشترك في الحديث عن إيذاء المشركين لرسول الله صلى الله

عليه وسلم.

فسياق آية آل عمران يبين أن الحق الظاهر لا يواجهه التكذيب وحسب، وإنما يواجهه القتل أيضاً ، وهو ما حدث مع جميع الرسل.

وسياق آية الأنبياء يبين أن الكفار المستهزئين بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم إنما هم كسابقهم من الكفار مع رسلهم ، يقول تعالى: ﴿ وَآلِدِ اسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ (الأنبياء : ٤١).

وتتحدث سورة العنكبوت عن مواجهة المشركين لرسولهم بالتكذيب والقتل ، كما حدث مع إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِن تُكَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (العنكبوت : ٢٤).

ثم يتحدث سياق التركيب الإضافي عن المكذبين بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ويبين استهزاءهم باستعجالهم العذاب ، غير أن الله جعل لكل شيء أجلاً مسمى ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَأَجَلَ مُسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ (العنكبوت: ٥٣) وهذا الاستهزاء والإيذاء الذي وصل إلى درجة رغبة الكفار في قتل محمد صلى الله عليه وسلم هو الدافع للهجرة في أرض الله الواسعة ، التي جاء الأذن بها مع التركيب الإضافي (ياعبادي إن أرضي واسعة) ، يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: (( وعن النبي صلى الله عليه وسلم: من فر بدينه من أرض إلى أرض - وإن كان شبراً من الأرض - استوجب الجنة ، وكان رفيق إبراهيم ومحمد))<sup>(١)</sup>.

فالتركيب الإضافي "ذائقة الموت" في مواضعه الثلاثة جاء مع إيذاء المشركين للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا الإيذاء الذي وصل إلى درجة الرغبة في القتل.

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٤٩٣/٣

فالعدول عن التنوين إلى الإضافة لم يكن لمجرد التأكيد على وقوع الموت ، فالقرآن الكريم يأتي بالعدول الدالّ على تحقق الموت لدلالة يتطلبها السياق.

فالعدول إلى الإضافة في تركيب "ذائقة الموت" جاء ليقول للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين الذين يدعون إلى الحق في كل زمان ومكان : أنه إذا كان إيذاء الباطل شديداً فإن نزوة الإيذاء القتل ؛ فلا ينبغي للحق أن يهاب القتل ، لأن أجل الله محكوم بقضائه، فالموت بالقتل أو بغيره كالمحقق لكل إنسان ، إذ لا مفرّ منه. فليس القتل مانعاً من الخلد للرسول صلى الله عليه وسلم، ولا طغيان الكفار (قتلهم للرسول) مانعاً من موتهم ، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَقَيْنَ مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

فداعي العدول إلى الإضافة تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم وكل من يواجه القتل في سبيل الحق ، إذ أن فناء العمر في الزمن المستقبل مؤكد الحصول ، فهو كالمحقق الموجود ، فلا يكون فناء العمر سبباً في الخوف من الباطل ؛ فإن لم يكن فناء العمر بالقتل منهم فهو بالموت.

أما المرة الرابعة التي جاء فيها اسم الفاعل "ذائق" فهي في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (الصافات : ٣٨) وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى في المبحث الخامس.

### مرسل :

جاء اسم الفعل "مرسل" مضافاً مرّة واحدة وذلك في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَدُوهُمْ أَلَسَ لَهُمُ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٧).  
والتركيب الإضافي "مرسلوا الناقة" خطاب من الله سبحانه لنبيه صالح عليه السلام لما سيحدث في زمن الاستقبال، فأصله صيغة العمل الفعلي : "إنا مرسلون الناقة" والعدول من صيغة العمل الفعلي الدالة على الزمن

المستقبل إلى صيغة الإضافة الدالة على الزمن الماضي المستمر وصفه، جاء  
لأميرين :

الأمر الأول: أن الناقة رسالة ثانية بعد الرسالة الأولى (وهي بعث  
صالح عليه السلام) فالناقة رسالة عذاب لقوم ثمود بعد تكذيبهم الرسالة الأولى.  
لذا جاءت في صيغة الماضي المتحقق تأكيداً على إرسالها من باب  
الوعيد للمكذبين، وشفاء لصدر صالح وتثبيتاً له.

ويدل على هذا الوعيد والتثبيت لصالح عليه السلام قوله تعالى رداً على  
سبهم نبيهم: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَثِيرِ ﴾، وتحديد الله لهدف هذه الرسالة  
﴿ فتنة لهم ﴾ وأمره لنبيه ﴿ فارتقبهم واصطبر ﴾.

فتفيد الآيات أن الناقة كانت رسالة عذاب، وهو وعد من الله لصالح كما  
يقول تعالى على لسان صالح في موضع آخر ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ  
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴾ (هود : ٦٥).

فإرسال الناقة وعد لصالح ، وفتنة ووعيد بالعذاب لقومه، فجاءت في صيغة  
الإضافة للتأكيد على استحقاق ثمود العذاب لتكذيبهم رسولهم (الرسالة الأولى) وطمأنه  
لصالح وشفاء لصدره.

والأمر الثاني: أن هذه الناقة رسالة من الله تعالى، ليست من أصل في  
الأرض، يقول الرازي عن معجزة هذه الناقة: (( كونها لا من ذكر وأنثى ))<sup>(١)</sup>  
فهي رسول من الله تعالى كالملائكة المرسلين، وكعيسى عليه السلام، في أنها  
ليست من مثيل لها في الأرض، فهذه الناقة رسالة مرسله (فهي رسول) من  
السماء ، فمن شأنها أن ترجع إلى مرسلها في السماء، لكنها لم تعد إلى السماء  
وعُفرت في الأرض.

فهي رسالة مستمرة على هيئتها المعجزة ، ظلت في الأرض ولم ترجع  
إلى المرسل - سبحانه- فناسب ذلك صيغة الإضافة لدالاتها على استمرار  
الوصف لأن الناقة رسالة باقية في الأرض.

(١) الرازي ، التفسير الكسير ، ١٤ / ١٦٩

فالعِدُولِ عن عمل اسم الفاعل الدالّ على المستقبل إلى إضافته تأكيداً على تحقّقه لأنّه وعد بالرد على من سبّ صالحاً -عليه السلام- ووعيد لهم بالعذاب الذي يستحقّونه. كما أن العِدُول مراعاة لاستمرار صفة الإرسال بالنسبة للناقة التي ظلت رسولاً في الأرض لم يرجع إلى مرسله سبحانه.

بينما جاء اسم الفعل منوّناً في قوله تعالى: ﴿وَإِيّ مُرْسِلَهُ إِلَيْهِمْ بِهِدْيَةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ٣٥) لأنه في سياق تشاور ملكة سبأ مع قومها، فلا يناسبه التأكيد بصيغة الإضافة الدالة على تحقق (قطع) الأمر، يقول تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ (النمل: ٣٢).

## خامساً: العدول عن تنوين اسم الفاعل لحديث السورة عن تفصيل لما هو

### في المستقبل بصيغة الحضور:

ومن مسوغات العدول عن تنوين اسم الفاعل حديث السورة في غير موضع التركيب الإضافي عن تفاصيل تحدث في الزمن المستقبل بصيغة الحضور في الزمن المستقبل ، ليسوغ ذلك عدول اسم الفاعل الدالّ على الحال والاستقبال إلى صيغة الإضافة الدالة على الزمن الماضي ، وهو مسوغ العدول في هذا المبحث.

### ذائق :

جاء اسم الفاعل "ذائق" مضافاً أربع مرات ، ثلاث مرات في تركيب "ذائقة الموت" وقد سبق الحديث عنه في المبحث الرابع.

أمّا المرة الرابعة فهي في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (الصفافات: ٣٨) وهذا الوعيد من الله تعالى للكافرين بالعذاب في الزمن المستقبل ، وقد دلّ على ذلك تأكيده باللام في "الذائقون" ، فهذه اللام لا تدخل على الخبر إذا كان فعلاً ماضياً متصرفاً ، وتدخل على المضارع لأنها للتأكيد ، والماضي لا يحتاج لهذا التأكيد ، يقول ابن عقيل عن شروط دخول لام الابتداء المؤكدة على خبر "إنّ" المكسورة: (( إذا كان الخبر ماضياً متصرفاً غير مقرون بـ"قد" لم تدخل عليه اللام ؛ فلا تقول: "إن زيدا لرضي" ... فإن كان الفعل مضارعاً دخلت اللام عليه))<sup>(١)</sup>.

ويفيد ذلك أن دخول اللام المؤكدة على خبر "إنّ" إنما يكون مع دلالة الحال أو الاستقبال ، وهي دلالة الفعل المضارع ، وعليه تكون دلالة اسم الفاعل "لذائقوا" وقوع الوعيد في الزمن المستقبل ، فأصل التركيب الإضافي صيغة

(١) ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك ، ٣٦٩/١

العمل الفعلي الدالة على الحال أو الاستقبال ، أي: لذائقون العذاب ، يقول الزمخشري: (( وقرئ على الأصل: لذائقون العذاب ))<sup>(١)</sup>.

والسياق الذي جاء فيه التركيب الإضافي "لذائقوا العذاب" يتحدث عن تحاور أهل النار: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ \* قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ (الصافات: ٢٧-٢٨) وهو حوار عند موقفهم أمام النار: ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ \* وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ (الصافات: ٢٣ - ٢٤).

والكفار أمام رؤيتهم للنار يعترفون باستحقاقهم العذاب: ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾ (الصافات: ٣١).

ثم ينتقل السياق إلى الحديث عن الكفار في حياتهم الدنيا ، فيتحدث عن استكبارهم متوعدًا إياهم بالعذاب في صيغة التركيب الإضافي: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ \* وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ \* بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ \* إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ (الصافات: ٣٥-٣٨).

فهذا الوعيد جاء في خطاب الله تعالى للكفار في الحياة الدنيا ، فهو يتحقق في الزمن المستقبل ، ومجيئه في صيغته الإضافة الدالة على الزمن الماضي للتأكيد على تحققه ؛ أبلغ بعد تفصيل الحديث عن تحاور الكفار قرب دخولهم النار ، ورؤيتهم لها ، واعترافهم باستحقاقهم العذاب.

فالحديث في زمن وقوع العذاب سوَّغ بعده مجيء الحديث عن الوعيد في المستقبل في صيغة المتحقق ، لأنه كالموجود في ذهن المخاطب.

وقد جاء الفعل المضارع "ليذوقوا العذاب" فهو بدلالة العمل الفعلي المتجدد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ (النساء: ٥٦) وإفادة التجدد يناسب السياق الدال على تكرار العذاب بنضج الجلود (كلما نضجت).

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٦٧٥/٣

## (صالي) :

جاء اسم الفاعل "صالي" ثلاث مرات ، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ \* مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ\*إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾  
(الصافات: ١٦١-١٦٣).

٢- ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ (ص : ٥٩)

٣- ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ\* ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ (المطففين: ١٥-١٦).

والتركيب الإضافي في سورة الصافات مع خطاب الحضور في

الدنيا "إنكم" ، فهو عذاب في الآخرة ، أي في الزمن المستقبل.

وسورة الصافات تتحدّث عن حوار أهل النار وتفصل ما يدور في

الجحيم ، وذلك في أولها من الآية (٢٣) إلى الآية (٣٢) ؛ فهو يفسر لفظ "فاتنين" الذي جاء مع التركيب الإضافي في الآية (١٦٢) وذلك بقوله في أول السورة: ﴿فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِيَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ (الصافات : ٣٢).

ولفظ "الجحيم" الذي جاء في التركيب الإضافي يذكر في أول الحوار:

﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٢٣).

ليكون الحوار داخل الجحيم في أول السورة مسوِّغاً لمجيء الوعيد

بالعذاب في المستقبل بصيغة الماضي المستمر ، وكأنه أمر متحقق بالفعل لا بالقوة على نحو ما يصوِّره الحوار بين أهل الجحيم.

والتركيب الإضافي "صالوا النار" في سورة "ص" يقوله أهل النار في

مقام الترحيب لمن حُكم عليهم بالنار ولم يصلوها بعد ، فهو حوار عند أبواب جهنم ، وقد وجب حكم العذاب، فسوغ استعمال التركيب الإضافي المفيد تحقق دخولهم النار ، فتصليتهم النار كالمحقق لقرب ذلك ، فجاء في صيغة الإضافة الدالة على الزمن الماضي المستمر.



وتركيب "أصالوا الجحيم" في سورة المطففين لعذاب الكفار في المستقبل كما يدل عليه الحديث عن تكذيبهم في الدنيا ، والوعيد لهم بقوله "يومئذٍ" ودخول لام الابتداء على خبر "إن" المكسورة ، فاللام تدخل للتأكيد مع دلالة الحال أو الاستقبال ، يقول ابن عقيل ((فإن كان الفعل مضارعاً دخلت عليه))<sup>(١)</sup>.

وفي آخر سورة المطففين يتحدث السياق عن حوار المجرمين مع المؤمنين في صيغة الماضي في الدنيا والحضور في الآخرة ، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ (المطففين: ٢٩) وقوله تعالى : ﴿ قَالِیَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ (المطففين : ٣٤).

فهذا الحوار داخل الجحيم في آخر سورة المطففين ، بيّن استحقاقهم للعذاب ، فلما كان الأمر كذلك في آخر السورة ، ناسبه الوعيد للكفارة في أول السورة في صيغة الإضافة تأكيداً على وقوعه ، فهو كالمحقق ، مع أنه في الأصل وعيد لما هو مستقبل.

ولا نجد هذا الحوار في سياق مماثل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ \* يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (الانفطار: ١٣-١٥) ، فجاء معنى وعيد الكفار بتصلبيتهم الجحيم في صيغته الأصلية الدالة على المستقبل ؛ لعدم وجود مسوِّغ للعدول ، فلم تتحدّث سورة الانفطار عن حوار للكفار داخل الجحيم.

فالعدول إلى إضافة اسم الفاعل "صال" تأكيداً على دخول الكفار النار في المستقبل ؛ لداعي وقوع ذلك فعلاً في حديث السورة عن حوار أهل الجحيم داخل النار أو عند أبوابها.

(١) ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك ، ٣٦٩/١ ،

## سادساً : العدول عن تنوين اسم الفاعل لعمالة النهي معاملة النفي :

ويسوّغ العدول إلى الإضافة التأكيد على النهي عن حدوث الفعل المحرم ، فالإضافة تجعل الفعل المنهي عنه في المستقبل كأنه منفي لم يحدث في الماضي ، وهو مسوغ العدول في هذا المبحث.

### متخذ :

جاء اسم الفعل "متخذ" ثلاث مرات. مرتان هما التركيب الإضافي: "متخذات أخدان" والتركيب الإضافي: "متخذي أخدان" وذلك في قوله تعالى :

١- ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتِطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَاذْكُرُونَهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَثْوِهِنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ (النساء: ٢٥).

٢- ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ (المائدة : ٥).

وكل آية منهما تنهى عن امرين:

١- السفاح. ٢- اتخاذ الخدن.

وبين هذين الأمرين فرق ، يقول الزمخشري: (( الأخدان: الإخلاء في السر ، كأنه قيل غير مجاهرات بالسفاح ، ولا مسرات له ))<sup>(١)</sup> ويقول الرازي: (( وكان أهل الجاهلية يفصلون بين القسمين (السفاح واتخاذ الخدن) وما كانوا

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٤٣٧/١

يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية))<sup>(١)</sup> ويقول ابن كثير: (( "غير مسافحين" وهم الزناة الذين لا يرتدعون عن المعصية ، ولا يردون أنفسهم عنم جاءهم "ولا متخذي أخدان" أي: ذوى العشيقات الذين لا يفعلون إلا معهن))<sup>(٢)</sup>.

وهو يدل على أن اتخاذ الخدن يكون باتخاذ صاحب والصاحبة على وجه التخصيص وال مداومة ، أما السفاح فمن غير تخصيص امرأة بعينها. فإذا كان النهى في الآيتين نهياً عن فعل اتخاذ الخدن ، والنهي يكون في زمن الحال أو الاستقبال ، كما أنه نهى يتعلق بفعل إعطاء المرأة مهرها "آتوهن" ، "إذا آتيتموهن" فهو يتعلق بزمن الحال أو الاستقبال ، فالفعل الأمر "آتوهن" لم يحدث بعد ، والظرف "إذا" لما استقبل من الزمان ؛ فإذا كان النهى في تركيب "غير متخذات أخدان" وتركيب "غير متخذي أخدان" لزمن الحال أو الاستقبال فإن أصلها التنوين لا الإضافة ، أي أن أصلهما: متخذاتٍ أخدانًا ، متخذين أخدانًا.

وجاء العدول عن التنوين الدالّ على العمل الفعلي المتجدد في الحال أو الاستقبال إلى الإضافة الدالة على الزمن الماضي المستمر ، مراعاة لأمرين : الأمر الأول: أن اتخاذ الخدن على وجه المداومة وتخصيص الصاحبة، فيه معنى الاستمرار المناسب للإضافة .

الأمر الثاني: وفيه بلاغة العدول من الإنشاء إلى الخبر ، وشرح ذلك ما يلي:

لقد جاءت آية النساء بالحديث عن الزواج من المؤمنات ، وجاءت آية المائدة بالحديث عن زواج المؤمنين من المؤمنات وغيرهن ، فاختصّ النهى في آية النساء بصيغة المؤنث "متخذات" واختصّ النهى في آية المائدة بصيغة

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ٦٥/١٠

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٦/٣

المذكر "متخذي" على الرغم من أن اتخاذ الخدن يكون من الطرفين -المذكر والمؤنث- معاً.

لقد كان الحديث في آية النساء عن الزواج من المؤمنات خاصة ، فيأمر الله تعالى بإعطائهن أجورهن غير متخذات أخدان ، فالمراد من الآية: النهي عن اتخاذهن الخدن ، بمعنى: لا تتخذن أخداناً. لكن الآية صاغته في التركيب الإضافي بما يجعل المعنى ينفي اتخاذهن الخدن في الزمن الماضي المستمر ، أي أن المعنى مع الإضافة: أتوهن أجورهن بالمعروف لأن حالهن محصنات غير مسافحات ولسن من متخذات الأخدان من قبل الزواج ، وهو وصف مستمر معهن ، وهو ما يناسب السياق الداعي للزواج من المؤمنات خاصة.

فالآية -هنا- أرادت الأمر الشرعي المطلوب فعله -وهو النهي عن اتخاذ الخدن- فجاءت به في صورة الوصف الثابت الذي ينفي اتخاذ الخدن في حق المؤمنات.

فالعديل عن التنوين (الذي يفيد معنى لا تتخذين أخداناً في الحال أو المستقبل) إلى الإضافة (التي تفيد معنى النفي ، فالمؤمنات لم يتخذن أخداناً ولا يتخذن أخداناً) فائدته التأكيد على أن الأمر المنهي عنه لا ينبغي فعله من المؤمنة ، ولا يستقيم مع إيمانها ، وليس مع شأنها أصلاً.

وكذلك آية المائدة ، فهي تفيد الإذن من الله تعالى بزواج المؤمن من المؤمنة ومن المحصنة الكتابية -والملاحظ أن الآية لا تصف الكتابية بالمؤمنة- وهذا الإذن بالزواج مشروط بإيتائهن أجورهن ، وأن لا يكون الرجل المؤمن مسافحاً ولا يكون متخذاً خدنًا ، فالمراد من الآية النهي عن اتخاذ المؤمنين أخداناً في الحال أو الاستقبال ، فالأصل في هذا النهي عن الفعل أن يأتي في صيغة التنوين الدالة على الحال أو الاستقبال ، وهو نهي سبق بظرف الزمان المستقبل.

لكن هذا النهي جاء في صيغة الإضافة الدالة على الزمن الماضي المستمر ، وذلك ليفيد أن عدم اتخاذ الخدن أمر ثابت في حق المؤمن ، وليس من شأنه اتخاذ الخدن، فهو عدول عن المعنى الطلبي (النهي عن الفعل في الحال أو الاستقبال) إلى صيغة المعنى الخبري (نفي اتخاذ الخدن).

إن آية المائدة تخصّ الحديث عن زواج المؤمن وتبيح له الزواج من المؤمنة والكتابية، فُخصّ النهي عن اتخاذ الخدن بالمؤمن المذكر ، فلما كان السياق موجّهًا للمؤمن جاء النهي في صيغة الإضافة التي تنفي وقوع الفعل من المؤمن ، تأكيدًا على النهي في حقه، وإعلاءً لشأن الإيمان الذي ينافي الفاحشة.

كما أن آية النساء خصّت الحديث عن الزواج من المؤمنات -دون الكتابيات- فجاء النهي الموجه للمؤمنة في صيغة الإضافة التي تفيد نفي الفعل من الزمن الماضي واستحالته في حق المؤمنة، فكما أن السياق يُعلي من شأن المؤمنة خاصة يأتي النهي في صيغة النفي التي تُعلي من شأن المؤمنة.

والتجّوز بالنفي الخبري عن النهي الطلبي من الفنون البلاغية ، يقول عز الدين ابن عبد السلام في ذكره أنواع المجاز: ((التجوز بلفظ الخبر عن النهي ، وله أمثلة ، أحدها: قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢٧٢) ، معناه: ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله))<sup>(١)</sup>.

فإذا كان المراد من آية النساء وآية المائدة النهي عن اتخاذ الخدن ، فإن صيغة الإضافة الدالة على الزمن الماضي المستمر جعلت هذا النهي نفيًا ، لأن عدم فعل الشيء في الزمن الماضي لا يكون إلا بالنفي ، والمراد من الآيتين النهي عن اتخاذ الخدن في الحال أو الاستقبال.

(١) عز الدين بن عبد السلام ، الإشارة إلى الإيجاز ، ٢٨

فالعَدُولُ عن التَّنَوُّينِ (الدالُّ على النهي عن الفعل) إلى الإضافة (الدالة على نفي الفعل في الماضي) تأكيداً على البعد عن هذا الفعل ومنافاته للإيمان.

### ● محلي :

جاء اسم الفاعل "محلي" مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ\* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ ﴾ (المائدة: ١-٢).

يقول أبو السعود موضحاً أصل التركيب الإضافي "محلي الصيد": ((قوله تعالى: ﴿ غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ ﴾ (المائدة: ١) و ﴿ هَدْيًا بِالْكَعْبَةِ ﴾ (المائدة: ٩٥) و ﴿ ثَانِي عِطْفِهِ ﴾ (الحج: ٩) أي: محلين الصيد ، وبالْعَا الكعبة ، وثانياً عطفه))<sup>(١)</sup>.

والمعنى كما يقول الزمخشري: (( أحلنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم حرم ))<sup>(٢)</sup>. وعقب الألوسي على قول الزمخشري قائلاً: (( ولم يحمل (الزمخشري) الإحلال [إحلال بهيمة الأنعام] على اعتقاد الحل ، ظناً منه أن تقييد الإحلال بعدم اعتقاد الحل غير موجه ))<sup>(٣)</sup>. فالمعنى كما يراه الألوسي: أحلت لكم بهيمة الأنعام مادمتم لا تعتقدون حلّ الصيد حال كونكم حرماً.

وجاء تحليل الشيء -جعله حلالاً- في القرآن الكريم برد التحليل إلى الله تعالى ؛ لأنه المشرع ، مثل قوله تعالى: ﴿ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ (البقرة : ٢٧٥).

وتنسب الإحلال لعيسى-عليه السلام- يقول تعالى: ﴿ لِأَحَلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ (آل عمران: ٥٠) لأنه الناطق باسم المشرع ، وله مسوغه من كونه -عليه السلام- يخلق بإذن الله.

(١) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ، ١٨٦/٢

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ٤/٢

(٣) الألوسي ، روح المعاني ، ٥٠/٦

أما الكفار فهم الذين يحلّون لأنفسهم ما يشاءون احتيالاَ منهم ، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ﴾ (التوبة: ٣٧) والآية التي قبلها تتحدث عن الأشهر الحرم ومقاتلة المشركين كافة.

أما المؤمنون ، فالأصل أن المؤمن لا يحلّ شيئاَ حرمه الله ، وإلا خرج من دائرة الإيمان، لأنّ الإحلالَ تشريع وهو شأن الله وحده ، ومع ذلك نجد نسبة الإحلال للمؤمنين في موضع واحد في الآيتين الأولى والثانية من سورة المائدة ﴿ غير محلي الصيد وأنتم حرم ﴾ ﴿ لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ﴾ فيما تفسره الآية الكريم ﴿ لا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ﴾ (المائدة: ٢) ليكون بذلك تقابل دلالي بين الموضع الوحيد الذي نسب فيها الحلّ للكفار في سورة التوبة الآية (٣٧) وبين الموضع الوحيد الذي نسب فيه الإحلال للمؤمنين ، مع مراعاة أن التحليل للمؤمنين جاء في صيغة النهي ، فالتحليل لم يصدر منهم.

ومجيء النهي عن التحليل بدلاً من النهي عن الصيد نفسه (غير الصيد، لا تصطادوا ، غير صائدين) تغليظاً للنهي ، وكأنّ فعله استحلالاً لما حرمه الله، فكأنّ فعل الصيد في الحرام مخالفة مغلظة تشبيهاً أن يكون تشريعاً في عدم التحليل ، أي كأنّ المقصود: أن النهي عن الصيد في الحرم نهى يصل إلى درجة النهي عن التشريع بدون أمرٍ إلهي.

فالعُدول إلى التركيب الإضافي لمراعاة أن الحلّ تشريع ، والتشريع لا يكون إلا على الدوام والاستمرار في إباحة الفعل.

كما أنّ فعل المعصية بعد الوفاء بالعقود -التي ذكرتها الآية- وهي كما يقول الزمخشري: (( عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه))<sup>(١)</sup> - في المكان الحرام ، وممن دخل فيه مُحرمًا ، ذنبٌ عظيم ، لأنه يوشك أن يكون تحليلاً ونقضاً لعهد الدين، ومثل هذا الأمر لا يكون متجدداً منقطعاً ، فالتشريع بالتحليل والتحريم لا يناسبه إلا الدوام والاستمرار.

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٣/٢

## سابعاً: العدول عن تنوين اسم الفاعل لاستمرار مدة الفعل وإطالته أو ثبوت

### الوصف منه :

العدول إلى التركيب الإضافي من شأنه أن يكسب اسم الفاعل الدالّ على الحال أو الاستقبال الذي يفيد التجدد والانقطاع (وهو المعنى الفعلي) دلالة ثبوت الوصف واستمراره ، لأن الإضافة تفيد الحدوث في الزمن الماضي ، وهو ما عمد إليه السياق في التراكيب الإضافية الآتية.

### باسط :

جاء اسم الفاعل "باسط" مضافاً مرتين وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أخرجوا أنفسكم ﴾ (الأنعام: ٩٣).

٢- ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ (الرعد : ١٤).

وهما يشتركان في حديثهما عن الكافرين ، فأية سورة الرعد تتحدث عن عمل الكافرين ، وآية سورة الأنعام عن جزائهم ، فهما العمل والجزاء. ويشير إلى هذا الاشتراك التقارب بين كلمة "غمرات" في آية الأنعام وكلمة "الماء" في آية الرعد ، يقول ابن منظور: (( الغمر: الماء الكثير ... ماء غمر: كثير مغرق ، بَيِّن المغمورة ))<sup>(١)</sup>.

ويستدلّ الزمخشري من حديث آية الأنعام عن بسط الملائكة أيديهم في هذا الموقف على: (( الإلحاح والتشدد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال ))<sup>(٢)</sup>. فإذا كانت مدة إزهاق الروح محدودة ، ويناسب الزمن المحدد المنقطع صيغة اسم الفاعل العامل "باسطون أيديهم" فإن العدول إلى التركيب الإضافي

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غَمَر)  
(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ١١٠/٢



يدلّ على إطالة مدة الإزهاق؛ إظهاراً لشدته ، واستمراراً في تعذيبهم ، فكأنه بسط على الدوام ، وهي دلالة الإضافة.

كما أن دعاء الكافرين في آية "الرعد" إلحاحٌ يناسبه المداومة والاستمرار ، فالاستجابة لهم كاستجابة الماء لبسط كفيه ، يقول الزمخشري عن معنى "إلا كباسط كفيه": (( إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه ، أي: كاستجابة الماء من يبسط كفيه إليه ، يطلب منه أن يبلغ فاه ، والماء جامد لا يشعر ببسط كفيه ... وكذلك ما يدعون جماد لا يحسّ ... بدعائهم وقرىء "تدعون" بالتاء ، "كباسط كفيه" بالتثنية ))<sup>(١)</sup>.

فحقيقة بسط اليد عمل فعلي ، صيغته الأصلية التثنية: "باسط كفيه" ، لكن بسط الكافر يده جاء في صيغة الإضافة لاكتساب معنى الثبوت والاستمرار ؛ ليدل على المداومة والإلحاح، فهو دعاء من لا يجيب ، فلا ينتهي الدعاء بالإجابة ، فجاء اسم الفاعل "باسط" مضافاً مع أن حقيقة بسط اليد مدة محدودة يناسبها التجدد والانقطاع.

ولذلك جاء اسم الفاعل "باسط" منوئاً في قوله تعالى: ﴿ لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ﴾ (المائدة : ٢٨) لأنه أراد الفعل في المستقبل ، ولا يوجد داع لإضافته ، فليس القتل -هنا- على وجه التهديد الجازم. كما جاء اسم الفاعل "باسط" منوئاً في قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ زِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ (الكهف: ١٨) فإذا كان الرقود يناسبه الثبوت والاستمرار ، فإن الآية الكريم تذكر أن من يراهم يحسبهم أيقاظاً ، ويتقلبون يمنة ويسرة ، مراعاة للشمس والهواء وهو أولى بحال الكلب إذا كان للحراسة ، فجاءت "باسط" بالتثنية

(١) نفسه ، ٥١٠/٢

لإفادة درجة فعلية تتوسط بين الفعل "يبسط" وبين الثبوت والاستمرار من الإضافة.

(ثاني) :

جاء اسم الفاعل "ثاني" مرتين ، الأولى في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ \* ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (الحج : ٩).

يقول الزمخشري عن معنى "ثاني عطفه": (( ثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء ، كتصعيد الخد ولي الجيد ))<sup>(١)</sup> ويقول ابن كثير: (( أي لاوي عطفه ... ويثني رقبته استكباراً ))<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان لي الرقبة عملاً فعلياً يفيد التجدد والانقطاع ، وإضافته غير حقيقية أصلها التنوين (كما يدل على ذلك مجيء "ثاني" حالاً) فإنه -لي الرقبة- كناية عن الإصرار على الجدل بالباطل من غير علم ولا هدى والكتاب منير ، وهو ما يجعل العمل الفعلي المتجدد (الجدال) كالمستمر ؛ لأنه لا يتوصل إلى نتيجة يتوقف عندها.

فالعُدول إلى الإضافة الدالة على الاستمرار ، لأن المراد من "ثاني عطفه" الاستمرار الدائم في الجدل ، فهو جدال لا يقوم على سند ، ولا يتوصل إلى غاية.

أما المرة الثانية التي جاء فيها اسم الفاعل "ثاني" فكانت في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا ثَيْنًا ﴾ (التوبة : ٤٠).

فاسم الفاعل "ثاني" -هنا" عددًا ، وإذا جاء العدد على وزن اسم الفاعل مع ما دونه في العدد جاز عمله ، يقول الرازي: (( فإذا قلت: "رابع ثلاثة" فهذا هنا يجوز الجر والنصب ، لأن معناه الذي صير الثلاثة أربعة ))<sup>(٣)</sup>.

(١) الزمخشري ، الكشاف، ٢١٥/٣

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٣٣/٥

(٣) الرازي ، التفسير الكبير ، ٦٣/١٢

وعليه لا يكون "ثاني" مع "اثنين" عاملاً ما دام لفظ "ثاني" عدداً على وزن اسم الفاعل، إلا أن هناك أمراً أشاره معنى التركيب الإضافي عند المفسرين ، يقول أبو السعود عن معنى "ثاني اثنين" التي جاءت حالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقت إخراجه من مكة: (( أحد اثنين من غير اعتبار كونه صلى الله عليه وسلم ثانياً [أي مُؤخَّراً في الرتبة عن أبي بكر رضي الله عنه] ... وجعله صلى الله عليه وسلم ثانياً لمشي الصديق أمامه ، ودخوله في الغار أولاً ))<sup>(١)</sup>.

فأبو السعود لا يستريح لجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين من غير تعليل يناسب تقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل خير.

ومن الملاحظ أن الرجل المؤمن في القرآن الكريم يكافئ عشرة قبل التخفيف ، يقول تعالى: ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ (الأففال : ٦٤).

وجاء ذكر الرجل المؤمن الذي جاء من أقصى المدينة يسعى مرتين في القرآن الكريم، مرة في سورة القصص الآية رقم (٢٠) ، ومرة في سورة يس الآية رقم (٢٠) ، ف كلا الآيتين برقم عشرين ، فهما رجلان يكافئان عشرين رجلاً.

وقد جاءت آية "ثاني اثنين" للحديث عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مع الصديق ،- رضي الله عنه - فهما رجلان ، يكافئان عشرين رجلاً ، فإذا كان أحدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ضوعف العدد ، أي صار رسول الله ثانياً للاثنين ، أي ثانياً للعشرين، فيكافئ رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديق أربعين ، وهو رقم آية تركيب "ثاني اثنين" ، فالآية رقمها أربعون (٤٠) في سورة التوبة.

فضوعف العدد لأن أحد الاثنين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معنى أن يكون رسول الله ثاني اثنين ، يقول ابن منظور : (( وتُنْيُ الشيء جعله

(١) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ، ١٤٩/٣

اثنين ... وهذا ثاني هذا أي الذي شفعه ((<sup>(١)</sup>).

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيًا للثنين - أي مضاعفًا لما يكافئانه - ضوعف العدد عشرون- ما يكافئ اثنين مؤمنين - إلى أربعين. وإذا صح ذلك ، يصبح تركيب "ثاني اثنين" ضرورة اقتضاها السياق ، وذلك لأن العدول إلى الإضافة -هنا- إعلاء لشأن الرسول ومكانته في هذا المقام، الذي يبدو ظاهره الضعف والهوان ، حيث الهجرة والإخراج من مكة والمطاردة ، فكأنه كان من الضروري التذكير بأن مكانة الرسول ثابتة مستمرة في العلو ، فهو في حال الهجرة والمطاردة ، يكافئ مع صاحبه أربعين ممن طردوه وأخرجوه ، فمن علو مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون ثاني اثنين.

### حاضر:

جاء اسم الفاعل "حاضر" مضاعفًا مرتين ، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (البقرة : ١٩٦).

٢- ﴿ وَاسْتَلْهُمُ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَّانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾ (الأعراف : ١٦٣).

وإذا كان الحضور إلى المسجد أو البحر في أصله فعلاً متجددًا لا يستمر ، فإن التركيب الإضافي "حاضري المسجد" ، "حاضرة البحر" يدل على الثبوت والاستمرار ، هو يناسب لزوم أهل مكة للمكان ، وأهل القرية القريبة من البحر للمكان.

فالأصل: "حاضري مكة" وليس المسجد ، والأصل أن أهل القرية حاضري القرية التي على البحر لكن العدول جاء ليؤكد قرب أهل مكة من

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ثني)

المسجد الحرام ، وقرب أهل القرية من البحر ، قرباً يجعلهم يحضرون إلى المسجد وإلى البحر ، والحضور هو مناط الحديث في سياق كل آية. فالسياق في آية سورة البقرة يتحدث عن عمل فعلي يستلزم الحضور إلى المسجد الحرام ، وهو التمتع من العمرة إلى الحج. كما أن سياق آية سورة الأعراف يتحدث عن النهي عن عمل فعلي وهو صيد البحر في يوم السبت.

فدلالة الحضور إلى المسجد وإلى البحر دلالة فعلية متجددة ، إذ لا يعقل أن يكون أهل مكة حاضرين في المسجد الحرام على الدوام ، كما لا يعقل أن يكون أهل القرية حاضرين في البحر على الدوام ، فالأصل أن يؤدى المعنى بصيغة النون والتنوين: "حاضرين المسجد" ، "حاضرة البحر" لإفادة العمل الفعلي المتجدد.

فما فائدة العدول من صيغة العمل الفعلي -النون والتنوين- إلى صيغة الإضافة التي تفيد الوصف الثابت المستمر؟ لقد جاء هذا العدول لبيان أمر شرعي قد يظهر في صورة المشقة. فأية "حاضري المسجد" تتحدث عن التمتع وهو أداء العمرة مع الحج في وقت واحد تيسيراً على الحجاج ، وحُرِّمَ على أهل المسجد الحرام. وآية "حاضرة البحر" لتحريم صيد يوم السبت على أهل قرية قريبة من البحر ، قرباً يجعل حينئذهم تأتيمهم يوم سبتهم. فعلة تحريم التمتع لحاضري المسجد الحرام: قربهم من المسجد الحرام، قرباً يسر لهم دون غيرهم أداء العمرة في أي وقت. وعلة تحريم صيد يوم السبت على أهل هذه القرية ، امتحان من الله تعالى في مقابل نعمة تمتعهم بالصيد الميسر. فالقرب للمكان قام عليه الحكم ، فجاءت الإضافة لتدل على القرب الدائم للمكان، فوضحت الصيغة علة منع يسر قد منحه الله لعباده ، والأصل في التشريع اليسر.

فعدل عن التنوين الدالّ على الحضور المتجدد -وهو الأصل- إلى  
الإضافة الدالة على الحضور المستمر والدائم ؛ إشارة إلى سهولة الحضور إلى  
المسجد أو إلى البحر ، فكأن أهل مكة وأهل القرية حاضرين على الدوام ، لأن  
في إمكانهم الحضور على وجه اليسر.

فلما كان حال أهل مكة وأهل القرية القرب من المسجد الحرام ومن  
البحر ؛ جاء الأمر الشرعي بحرمان أهل مكة من التمتع لأنها رخصة لمن بعد  
عن مكة ، وحرمان أهل القرية من صيد السبت لأن قربهم من المكان يغنيهم  
عن صيد ذلك اليوم.

فالعُدول إلى الإضافة هدفه المبالغة في تصوير الحضور ، وكأنه على  
الدوام لأنه علة الحكم بالمنع.

### مخرج:

جاء اسم الفاعل "مخرج" مضافاً مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى:  
﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ  
ذَلِكَمُ اللَّهُ فَالِقَى تُؤَفِّكُونَ﴾ (الأنعام: ٩٥) وقد جاءت آيات متشابهة لهذه الآية ،  
هي:

١- ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (آل عمران : ٢٧)

٢- ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (يونس : ٣١)

٣- ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (الروم : ١٩)

ويرجع الإسكافي مجيء "مخرج الميت" في سورة الأنعام إلى أن ما  
قبلها وما بعدها أسماء ، وما جاء في الآية نفسها من الفعل المضارع "يخرج"  
لكراهية توالي حروف العلة ، فيقول: (( أول هذه الآية ذكر بلفظ الاسم وهو:  
"فالق الحب والنوى" فكان اللائق به أن يقول: "ومخرج الحي من الميت" لكنه  
لما اجتمع ثلاث حروف من حروف العلة دفعة واحدة وهي: الواو من "النوى"

والياء من "النوى" والواو من "ومخرج" ، نَقَلَ عن لفظ الاسم إلى لفظ الفعل<sup>(١)</sup> وهذا التحليل غير مقنع لوجود أحرف العلة في "النوى" ، وبدلاً من "الواو" يوجد الياء في "يخرج".

وإلى مثله ذهب الكرمانى ، فيقول عن "مخرج الميت": (( لأن ما في هذه السورة وقعت بين أسماء فاعلين ))<sup>(٢)</sup> وهما: فالحق الحب - فالحق الإصباح . ويعلل الرازي مجيء الفعل في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ بقوله: (( الحي أشرف من الميت ، فوجب أن يكون الاعتناء بإخراج الحي من الميت أكثر من الاعتناء بإخراج الميت من الحي ، ولهذا المعنى وقع التعبير عن القسم الأول بصيغة الفعل ، والثاني بصيغة الاسم ))<sup>(٣)</sup>.

ولعل دلالة لفظ الاعتناء ما فهمه السيوطي من كونه دالاً على التجدد ، فقد ذكر السيوطي ما قاله الرازي ، مبيّناً أن الفعل (( شأنه الانقطاع والتجدد ... المراد بالتجدد في الماضي الحصول ، وفي المضارع أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى ))<sup>(٤)</sup>.

لكن كيف نجمع بين مناسبة الإمامة للثبوت من الاسم في "مخرج الميت" في سورة الأنعام ، وبين مجيء الفعل مع الإمامة في "يخرج الميت" في سورة آل عمران ويونس والروم؟

والإجابة تُظهر دلالة الإضافة على الاستمرار ، فسياق آية آل عمران يركز على تقلب الأمور من حالٍ إلى حالٍ يقول تعالى: ﴿تَوَتَّى الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ (آل عمران : ٢٦) وتقلّب بين الليل والنهار ، وتقلّب بين إنزال الكتاب والجاهلية.

(١) الإسكافي ، درة التنزيل ، ٦٧

(٢) الكرمانى ، أسرار التكرار في القرآن ، ٧١

(٣) الرازي ، التفسير الكبير ، ٩٨/١٣

(٤) السيوطي ، الإتقان ، ٣١٦/٢

وسياق آية يونس يستنكر طلب المشركين للوحي ثم كفرهم به ،  
وذكرهم بنعم الله المتجددة والقابلة للزوال ، فيأتي بالأمور المتقلبة:

- ﴿ رِيحٌ طَيِّبَةٌ ﴾ - ﴿ رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ (يونس : ٢٢)  
- ﴿ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ - ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ (يونس :

(٢٤)

وسياق آية الروم يجمع كذلك الأمور المتقلبة: ﴿ حِينَ تَمْسُونَ وَحِينَ  
تَصْبِحُونَ ﴾ (الروم : ١٧) ﴿ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (الروم : ١٨)  
والغرض من ذلك في سياق الآيات التي جاء فيها "تخرج الميت"  
و"يخرج الميت" الإشارة إلى تجدد الأمور ، كما أن إنزال القرآن إحياء بعد  
نسخ الكتب السابقة ، وإنزاله قضاء على الجاهلية ، فجاء معنى الأحياء بصيغة  
الفعل: "تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي" لأن صيغة الفعل تدل  
على التجدد .

أما قوله: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ في  
سورة الأنعام ، فهي تحمل دلالة أخرى غير دلالة التقابل بين الحياة والموت ،  
هي دلالة ﴿ حَبًّا مَاتَرَاكِبًا ﴾ ، فسياق آية الأنعام يشير إلى تولد الحياة من الموت ،  
كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ ومعناه كما يقول الزمخشري:  
(الأشياء الميتة من الحيوان والنامي)<sup>(١)</sup>.

ويفصل السياق الحديث في تنامي الزروع من الحب الميت ، يقول  
تعالى: ﴿ نَخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مَاتَرَاكِبًا ﴾ (الأنعام : ٩٩) ليؤكد على فكرة أن  
المخلوقات تتنامى لأنها ستموت ، مناسبة لقوله تعالى: ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ  
وَبَنَاتٌ ﴾ (الأنعام : ١٠٠) وقوله: ﴿ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾ (الأنعام :  
١٠١).

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ١١/٢



فالإضافة في "مخرج الميت من الحي" لإفادة استمرار الموت من الحياة ، والحياة من الموت ، دوران مستمر كما يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ (الأنعام: ٩٨) وهو ما يستحيل في حق الله تعالى ، إذ أنه لا يموت حتى يكون له الولد ، أو في حاجة إليه. فلكي يخرج الحي من الميت لابد وأن يكون هناك موت ، فهي قانون استمرار الموت لإحداث الحياة ، فالعدول إلى الإضافة في (مخرج الميت من الحي) ليبدل على أن الموت ثابت ودائم (سنة كونية) ما دام هناك إحداث للحياة (يخرج الحي من الميت).

وقد جاء اسم الفاعل "مخرج" بالتثنية مرتين ، قال تعالى:

١- ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة : ٧٢)

٢- ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مِمَّا تَحْتَرُونَ ﴾ (التوبة : ٦٤)

وكلاهما يفيد الحدوث والانقطاع الزمني ، لأن الله أخرج ما في نفوس اليهود والمنافقين.

وعليه يكون الفعل المضارع للتجدد والانقطاع مع السياق الدال على تقلب الأمور ، أي: حدوثها وزوالها.

واسم الفاعل المنون لحدوث العمل الفعلي وانقطاعه -على الأصل-

لعدم وجود داعي للعدول في السياق.

أمّا اسم الفاعل المضاف فهو لاستمرار أثر العمل الفعلي ، ليفيد

استمرار الموت من الحياة ، وهو الكائن في شأن المخلوقات ، ويستحيل في حق الله تعالى ، وهو المراد من السياق الذي يقرر قانون التنامي القائم على الموت ، ليتوصل بذلك إلى نفي اتخاذ الله للولد.

## سابق :

جاء اسم الفاعل "سابق" مضافاً مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى:  
﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ  
يَسْبَحُونَ﴾ (يس : ٤٠)

يقول الزمخشري: (( قرئ " سابقُ النهارَ " على الأصل ))<sup>(١)</sup> ويعلّل  
الرازي مجيء الفعل للشمس والاسم لليل ، بقوله: (( الحركة الأولية التي  
للشمس -ولا يدرك بها القمر- مختصة بالشمس، فجعلها كالصادرة منها ، وذكر  
بصيغة الفعل ؛ لأن صيغة الفعل لا تطلق على من لا يصدر منه الفعل ، فلا  
يقال "يخيط" ولا يصدر منه الخياطة. والحركة الثانية (سابق) ليست مختصة  
بكوكب من الكواكب بل الكل فيها مشتركة ... فالحركة ليست كالصادرة  
منه))<sup>(٢)</sup> فالليل والنهار أثر للشمس، لا يصدر منهما حركة، وإنما تعاقبهما نتيجة  
لحركة الشمس، كما أن الليل متصل بالنهار فهما كالدائرة لا تظهر حركتها، أما  
الشمس فبينها وبين القمر مسافة تظهر حركتها.

وجاء الفعل مع الشمس لارتباطها بالنهار محل العمل والحركة، والاسم  
المضاف لليل لأنه محل السكون والراحة.

إن تركيب "ولا الليل سابق النهار" يفيد ضمنا حركة ليل متأخرة عن  
حركة النهار، والعدول عن الدلالة الفعلية (التنوين: سابقٌ ، أو الفعل مثل: ينبغي  
له أن يسبق) إلى دلالة التركيب الإضافي إنما جاء لأمر :

١- ما ذكره الرازي من أن الحركة لا تصدر من الليل في الحقيقة،  
وإنما حركة الليل أثر لحركة غيره ، فجاء بالتركيب الإضافة عدولاً من الدلالة  
الفعلية لعدم وجود فعل مباشر من الليل.

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٦٥٤/٣

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ٧٥/٢٦

٢- إذا كان الليل يتحرك حركة متأخرة عن النهار، إلا أنه محل السكون والثبات، على غير النهار، فناسب حركة الليل صيغة الإضافة الدالة على الثبوت دون العمل الفعلي المتجدد.

٣- وهو أمرٌ يأتي من النظر في الصيغة الفعلية لحركة الشمس والقمر؛ فقد جاءت حركة الليل والنهار في صيغة الإضافة لدلالاتها على الاستمرار، وهو يناسب جعل الليل والنهار من السنن الكونية المستمرة.

فإذا قيل أن حركة الشمس والقمر من السنن الكونية المستمرة فلماذا لم تأت في صيغة الإضافة: "ولا الشمس مدركة القمر"؟  
فالإجابة على ذلك: أن الليل لن يسبق النهار على الدوام، فهي سنة كونية مستمرة، ناسبتها صيغة الإضافة الدالة على الاستمرار لا على التجدد والانقطاع، أما الشمس والقمر فإن حركتهما في تجدد وانقطاع، لما يلي:  
أولاً: بخسوف القمر وكسوف الشمس، بينما يظلّ الليل والنهار.

ثانياً: وهو الأكثر مراعاة في كون حركتهما بصيغة التجدد والانقطاع، أن القرآن الكريم يذكر أن حركة الشمس مقطوعة بيوم القيامة، بل إن الشمس تدرك القمر، يقول تعالى: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ (القيامة: ٩) فالشمس حركتها مقطوعة وليست مستمرة في عدم إدراكها للقمر، أما عدم سبق الليل للنهار، فهو مستمر، فلا يحدث أن يسبق الليل النهار؛ لعدم وجود الليل والنهار كذوات، وإنما هما أثران زائلان، يحل محلّهما الظلام وإشراق الأرض بنور ربّها.

فلا يحدث أن يسبق الليل النهار، فنفي أن يسبق الليل النهار نفي على الدوام، فالعدول إلى صيغة التركيب الإضافي (سابق النهار) مراعاة لمعنى الثبوت والاستمرار بدلا من العمل الفعلي المتجدد.

فلوجود فرق دلالي بين إدراك الشمس للقمر وسبق الليل للنهار (مع ما يبدو من تقارب بينهما) جاء نفي إدراك الشمس للقمر بصيغة فعلية، وجاء نفي

سبق الليل للنهار بصيغة الإضافة، فهو فرق دلالي دلت عليه الصياغة، وهو مثل مجيء إدراك الله تعالى لأبصار المخلوقات بصيغة فعلية في قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ (الأنعام: ١٠٣) لأن الله تعالى يدرك الأبصار كلما تجددت حركتها، وليس المقصود به العلم المسبق مثل ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ (الأنعام : ٧٣) فلم يأت بـ "مدرِك الأبصار" لأن المراد التتبع والحضور كلما تجدد فعل الأبصار عند المخلوقين، فهو سبحانه يدرك حركة حدق عيونهم في كل ملمح لأبصارهم.

### مصدّق:

جاء اسم الفاعل "مصدّق" منوئاً سبع عشرة مرّة ، ومضافاً مرّة واحدة. ومعنى أن يكون القرآن مصدّقاً لما بين يديه أو مصدّق الذي بين يديه أن القرآن مصدّق لما قبله من الوحي ، أي كما يقول ابن كثير: (( مشتملاً على الحق من الله تعالى ، مصدّقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل ))<sup>(١)</sup> وأن يكون القرآن مصدّقاً لما في التوراة والإنجيل إنما يتحقق بما جاء به القرآن الكريم من الإيمان بالله والوحي والبعث ، وهو موجود في التوراة والإنجيل ، وأمّا ما لم يتفق مع القرآن فهو محرّف ، وبذلك تكون الكتب السابقة منسوخة بنزول القرآن.

وهنا يظهر معنى ملازم للتصديق وهو النسخ ، فالقرآن يصدّق ما صح من الكتب السابقة ، وعدم تصديقه لغير ما صح فيها نسخ له ، ويترتب على ذلك أن القرآن مغني عن الكتب السابقة ؛ لأن فيه الصواب (مشتملاً على الحق كما قال ابن كثير) من الوحي السابق ، وبنزوله نسخت الكتب السابقة ، وهو الوحي الوحيد المستمر للتشريع.

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١٠٥/١

إدًا فالتصديق يدل على أمرين:

أولاً: نسخ الكتب السابقة ، لأنّ القرآن مشتملٌ على ما فيها من صواب.

ثانياً: القرآن هو الوحي الوحيد الموجود ؛ لأن غيره منسوخ به.

ومن دلالة "مصدق" على نسخ الكتب السابقة ، واستمرار الوحي

الوحيد، يمكن معرفة الفرق بين مواضع "مصدق" منوناً ، وموضع "مصدق"

مضاقاً ، فقد جاءت مواضع "مصدق" منوناً في قوله تعالى:

١- ﴿ وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ﴾ (البقرة : ٤١)

٢- ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ

عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ (البقرة : ٨٩)

٣- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا

وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ (البقرة : ٩١)

٤- ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة : ٩٧)

٥- ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٠١)

٦- ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ \* نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (آل عمران : ٢-٤)

٧- ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ

مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ (آل عمران : ٣٩)

٨- ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا جِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾

(آل عمران : ٥٠)

٩- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ (آل عمران : ٨١)

١٠- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ

تَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾ (النساء : ٤٧)

١١ ، ١٢- ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ

وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: ٤٦)

١٣- ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ

فَاخْتُم بِهِمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾

(المائدة: ٤٨)

١٤- ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ

بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ \* ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ

ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (فاطر : ٣١-

٣٢)

١٥- ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا

لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأحقاف : ١٢)

١٦- ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الأحقاف : ٣٠)

١٧- ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا

بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ (الصف : ٦)

فقد جاء اسم الفاعل المنون "مصدق" في سياق كفر اليهود وتكذيبهم ،

في مواضع سورة البقرة الآيات (٤١ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠١) وفي سورة

المائدة الآية (٤٨) ، وسورة الأحقاف الآية (١٢).

وجاء في سياق الوعيد لمن كفر من أهل الكتاب ونفي اتخاذ الله تعالى أحدًا من أنبيائه ولدًا في سورة آل عمران الآية (٣) والآية (٨١) ، وسورة النساء الآية (٤٧) ، وسورة فاطر الآية (٣١) ، وسورة الأحقاف الآية (٣٠).

كما جاء في سياق الحديث عن الوحي ليحي وعيسى عليهما السلام بما هو مصدقٌ للتوراة مع الوعيد لليهود ، وذلك في سورة آل عمران الآية (٣٩) والآية (٥٠) ، ومرتين في سورة المائدة الآية (٤٦) ، وفي سورة الصف الآية (٦).

فاسم الفاعل "مصدق" المنون جاء مع السياق الدالّ على التحريف في الكتب السابقة، وهو ما يجعل "مصدق" (بالتنوين) لإفادة معنى نسخ ما قبلها ، لأن تحريفها هو داعي نزول القرآن بما هو صدق ناسخٌ لما قبله.

أما الموضع الوحيد الذي جاء فيه اسم الفاعل "مصدق" مضافًا هو قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٢).

واختصّ هذا الموضع بوصف القرآن بـ "مبارك" ووصفه بأنه إنذار لمن يسبق لهم الوحي "أم القرى" كما اختصّ بذكر التشريع "الصلاة" ليشير إلى الدين الجديد ، لأنّ الأديان تشترك في الأصول لا في الشرائع.

فاختصّ هذا الموضع بالحديث عن أم القرى ، بينما لم يرد ذكر أم القرى في المواضع الأخرى ، فمن هنا يمكن أن نستخلص أن المواضع التي وردت فيها كلمة "مصدق" بالتنوين والتي جاءت مرتبطة بأهل الكتاب ، إنما جاءت دالة على تحريف أهل الكتاب ونسخ هذه الكتب السابقة.

بينما جاء الموضع الخاص بالإضافة غير مرتبط بالحديث عن أهل الكتاب من جهة ، ومختصّ بالحديث عنه أم القرى من جهة أخرى ، وهو ما يجعل دلالاته منصرفة إلى كون القرآن الكريم وحيًا مستمرًا لكل ما هو صحيح

في الكتب السابقة عليه ، بصرف النظر عن معنى النسخ الموجود في كونه مصدقاً لما قبله.

فاسم الفاعل "مصدق" مضافاً يفيد أن القرآن جاء بما هو صدق ، ليكون الوحي الوحيد المستمر لأهل الأرض جميعاً.  
فتصديق القرآن لما قبله يفيد معنيين:

الأول: نسخه ما قبله ، وهو ما جاء بالتونين ؛ لدلالته الفعلية على الحدث ، فالنسخ وقع مرة واحدة بنزول القرآن خاتماً للوحي.

الثاني: أن ما جاء به القرآن وحي مستمر لأهل الأرض ، إنذاراً وتشريعاً ، وهو ما يناسبه التركيب الإضافي ؛ لدلالته على الاستمرار.

فالعُدول إلى الإضافة لأنّ المراد من السياق دلالة استمرار الوحي بتصديق القرآن لما صحّ في الكتب السماوية ، وكون القرآن الوحي الوحيد الموجود على الأرض.

## عابر:

جاء اسم الفاعل "عابر" مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ (النساء: ٤٣)

وعبور السبيل عمل فعلي مؤقت لا يدلّ على الاستمرار والثبوت ، فالصيغة الأصلية هي: "عابرين سبيلاً" ، أي: تجوز الصلاة إذا كنتم جنباً عابرين سبيلاً أو حال كونكم عابرين سبيلاً.

وفي لفظ "الصلاة" قولان بُني على كل واحدٍ منهما المعنى ، يقول الرازي: ((أحدهما: المراد منه المسجد ... والقول الثاني (وعليه الأكثرون): أن المراد بالصلاة في هذه الآية نفس الصلاة... وأعلم أنّ فائدة الخلاف تظهر في حكم شرعي ، وهو: أن على تقدير المعنى الأول يكون المعنى: لا تقربوا



المسجد وأنتم سكارى ولا جنباً إلا عابري سبيل... وأما على القول الثاني فيكون المعنى: لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ، ولا تقربوها حال كونكم جنباً إلا عابري سبيل ، والمراد بـ "عابري سبيل" المسافر ((<sup>(١)</sup>).

فالمراد بـ "عابري سبيل" مجتاز المسجد ، كما يوضحه ما جاء في تفسير ابن كثير عن سبب نزول الآية: (( أن رجلاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد ، فكانت نصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ، فيريدون الماء ، ولا يجدون ممراً إلا في المسجد ))<sup>(٢)</sup>.

أو أن المراد بـ "عابري سبيل" المسافر. فلا يجوز للجنب الصلاة إلا أن يكون عابر سبيل أي مسافر ، كما أنه لا يجوز للجنب دخول المسجد أن يمر به مرّاً ، وكلاهما تيسير لضرورة ، هي ضرورة السفر ، أو ضرورة المرور داخل المسجد لعدم وجود سبيلٍ غيره.

وإذا كان عبور السبيل (السفر ، المرور داخل المسجد) في حقيقته عملاً فعلياً مؤقتاً، يفيد التجدد والانقطاع ، فإنه جاء في صيغة التركيب الإضافي "عابري سبيل" ليدلّ على الضرورة.

فلا يحقّ للجنب دخول المسجد إلا إذا لم يجد ممراً آخرًا ، والقرآن الكريم عندما أباح للجنب أن يجتاز المسجد في مثل هذه الحال ، فإنما كان ذلك - حسب ما ورد في أسباب النزول - لافتقارهم جميع السبل إلا سبيل المسجد ، فكأنّ النص عدل إلى صيغة التركيب الإضافي ليبين أن عبور السبيل للجنب ضروري ، كأنه صفة ثابتة فيه ، ومستمرة لا يمتلك غيرها ؛ من باب أنها ضرورة ملزمة.

وكذلك المسافر لا يحقّ له الصلاة وهو جنب من غير غسل ، إلا إذا لم يجد الماء ، فعندها يتيمّم ويصلى. فلما كان السفر "عبور السبيل" سبباً في عدم

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ١١٢/١٠ - ١١٣

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١٨٧/٢

وجود الماء للبعد عن مواطن الماء ، كان السفرُ ضرورةً أباحت صلاة الجنب من غير غسل. فجاء السفر وعبور السبيل) في صيغة الإضافة كأنه صفة ثابتة للمسافر ، مستمرة معه ؛ من باب أنّ السفر ضرورة ملزمة له .  
فالمجتاز لا يجد إلا سبيل المسجد ، لذا هو ملازم له ، والمسافر ملازم للسبيل وقت سفره ، لا يجد غيره ، فملازمة السبيل للمجتاز والمسافر ضرورة ، قام عليها التخفيف بأن أباح للجنب دخول المسجد أو الصلاة .  
أما إذا انتفتت الضرورة بوجود الماء (و غالباً ما يكون الماء موطن حلّ لا سفر) أو وجود ممر آخر ، فلا يوجد داعٍ للتخفيف في أمر طهارة الصلاة أو المسجد .

فلما كانت الضرورة علة الحكم بالتخفيف جاء عدول المعنى الفعلي عن الصيغة الفعلية العاملة إلى صيغة التركيب الإضافي (عابري سبيل) ، لإفادة معنى الثبوت والاستمرار (اللزوم) من دلالة الإضافة على الزمن الماضي المفيد ثبوت الوصف ؛ مبالغة في تصوير الضرورة لتوضيح علة الحكم الشرعي .

### **مستقبل :**

جاء اسم الفاعل "مستقبل" مرّة واحدة ، وذلك في قوله تعالى :  
﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الأحقاف: ٢٤)

وقد جاءت هذه الآية في شأن عاد قوم هود عليه السلام ، وعن إضافة "مستقبل" يقول الزمخشري: ((وإضافة "مستقبل" و"مُطر" مجازية ، غير معرفة ، بدليل وقوعهما - وهما مضافان إلى معرفتين - وصفاً للنكرة ))<sup>(١)</sup>. وأن تكون الإضافة لفظية هو ما تكرر ذكره ، لكن الملاحظ هنا هذا الوصف "مجازية"؛ إذ أنّ المجاز كان متداولاً كمصطلح له حدود المجاز اللفظي والإسنادي في القرن السادس الهجري الذي عاش فيه الزمخشري ، وقد سبقه ظهور لفظ "المجاز" في القرن الثالث الهجري، وهو ما يدلّ على وجود فترة عرف فيها المجاز كمصطلح له حدود<sup>(٢)</sup>.

وقد لاحظ الألويسي ما قاله الزمخشري ، وشرحه بقوله: (( وأطلق عليها الزمخشري "مجازية" ووجه التجوّز أنّ هذه الإضافة للتوسع والتخفيف ، حيث لم تغد فائدة زائدة على ما كان من قبل ، فكما أن إجراء الظرف مجرى المفعول به مجاز ، كذلك إجراء المفعول أو الفاعل مجرى المضاف إليه في الاختصاص ، ولم يُرد أنها من باب الإضافة لأدنى ملابسة))<sup>(٣)</sup> فهو العدول عن العمل الفعلي إلى الإضافة، ويشير الألويسي إلى أن الزمخشري لا يريد بالإضافة المجازية ما تكرر عند الزمخشري من أنّ ((الإضافة تكون لأدنى ملابسة))<sup>(٤)</sup>.

والعدول إلى الإضافة -هنا- مراعاة لأمر:

١ - أنّ هذه الريح ريح عذاب ، فقد تحركت لهم منذ بداية حركتها ، فهي ريح قد استقبلت أوديتهم منذ حركتها (أي قبل رؤيتهم للريح) فاستقبال الريح لأوديتهم في حقيقته استقبال ماضٍ لرؤيتهم ، لأنها جاءت لهم ، ولا تريد غيرهم، فعملها متوقف عليهم ، وإن لم يرَ قوم عاد هذا الاستقبال إلا في زمن

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٢٠٤/٤

(٢) من المصادر التي سبقت الزمخشري وتحدثت عن مصطلح المجاز:

\* الجاحظ ، الحيوان ، ٢٥/٥

\* ابن جنّي ، الخصائص ، ٤٤٢/٢

\* عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٦٦ وله كذلك: أسرار البلاغة ، ٣٥٠

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ٤٦٩/٢

(٤) نفسه ، ٤٦٩/٢

الحال ، فقوم عاد وصفوا استقبال الريح بما يفيد زمن الحال ، لذلك جاء اسم الفاعل "مستقبل" حالاً أصله التثوين ، لكنه عدل إلى الإضافة لإفادة أن استقبال الريح لقوم عادٍ كان منذ بدء تحركها في الزمن الماضي ، فهي ريح عذابٍ مخصّصة لهم ، وإن رأوها مستقبلةً أوديتهم في زمن الحال والاستقبال.

٢- إفادة التربص من استمرار استقبال الريح لأوديتهم ، حتى يستبشروا بها ، ويتوعددهم هود عليه السلام ، فناسب مكث الريح الثبوت والاستمرار.

٣- إفادة استمرار سبب العقاب ، لأن هذا العارض المستمر سيكون ريحاً استمرت عندهم فترة حرص القرآن الكريم على ذكرها ، على الرغم من أن عقاب الله لا يحتاج إلى فترة زمنية كمثّل هذه الفترة ، التي يقول عنها الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ \* سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ (الحاقة : ٦-٧).

فالعُدول عن العمل الفعلي المتجدّد إلى الإضافة الدالة على الزمن الماضي المستمر ، لإفادة حقيقة استقبال الريح لهم منذ تحركها في الزمن الماضي ، فهي مخصّصة لهم ، وإفادة تربصّها وبقائها معهم.

## مقيم :

جاء اسم الفاعل "مقيم" ثلاث مرات ، مرتين مضافاً ، ومرةً عاملاً عمل الفعل ، فقد جاء اسم الفاعل مضافاً في قوله تعالى:

١- ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾

(إبراهيم: ٤٠)

٢- ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ فَلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ

وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (الحج : ٣٥)

والموضع الأول في سورة إبراهيم في سياق دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة ولذريته، سائلاً الله تعالى أن يُقبل الناس على حجّ بيته الحرام ، يقول تعالى:

﴿ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ (إبراهيم : ٣٧)

والموضع الثاني جاء في سياق التشريع لفريضة الحج والحديث عن شعائر الفريضة.

وبذلك يكون التركيب الإضافي جامعاً بين دعاء إبراهيم بإعمار البيت الحرام في سورة إبراهيم ، وبين إجابة دعائه في سورة الحج .  
والحرص على إقامة الصلاة ، والاستمرار عليها ، يناسب دلالة الإضافة على الثبوت والاستمرار ، ويظهر ذلك من الفرق بين سياق اسم الفاعل مضافاً وسياق اسم الفاعل العامل.

فقد جاء اسم الفاعل عاملاً في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ (النساء: ١٦٢).

وليس في هذا السياق ما يشير إلى الحج ، ويعود الضمير في "منهم" إلى أهل الكتاب، حيث يتحدث السياق عنهم .

وقد لاحظ د. أحمد ماهر البقري وجود فرق بلاغي بين صيغة الإضافة "المقيمي الصلاة" وصيغة اسم الفاعل العامل "المقيمين الصلاة" ، فيقول: ((المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد ، فثمة فرق بلاغي بين "المقيمي الصلاة" -مثلاً- و"المقيمين الصلاة" يقول الله: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١٦٢) ويقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الحج : ٣٥) ففي الآية الأولى حديث عن الذين يقيمون الصلاة أي يؤدونها قويمه ، كما أمر الله بغير عوج ، تلك عادتهم التي قد تتخلف ، فلا تعوزهم صفة (المقيمي الصلاة) أمّا الآية الثانية: فالبشرى لهم وهم في الصلاة لا ينفكون منها ، كما لا ينفك

الشيء من جنسه))<sup>(١)</sup> فتركيب "المقيمين الصلاة" يدلّ على فعل الصلاة ، أي التجدّد والانتقاع ، وتركيب "مقيمي الصلاة" مراعاة لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (الحج: ٣٤) لأنّ البشري جاءتهم وهم في الصلاة لا ينفكون منها. وهناك أمر آخر مأخوذ من دلالة اسم الفاعل المضاف على الزمن الماضي المستمر، ودلالة اسم الفاعل العامل على حدوث الفعل ، وهو مجيء التركيب الإضافي "المقيمي الصلاة" في سياق الحديث عن شعائر الحج ، ليكون وصفًا لمن أقام الصلاة ورسخ عنده الركن الثاني من أركان الإسلام ، ويؤدى الركن الخامس (الحج).

فالعُدول إلى التركيب الإضافي للدلالة على ثبوت الوصف واستمراره من الزمن الماضي ، أي الزمن الماضي لفريضة الحجّ ، فالتركيب الإضافي جاء في سياق فريضة الحجّ، وإقامة الصلاة شيء ماضي ومستمر بالنسبة لمن يؤدى شعائر الحجّ.

أمّا تركيبُ اسم الفاعل العامل "المقيمين الصلاة" فهو في سورة النساء التي نزلت قبل سورة الحجّ(٢) ، وقد جاء في شأن من يؤمن من أهل الكتاب بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو دخول (أي حدوث) في دين جديد (الإسلام) يتطلب فعل أو امره المبنية على عقيدته السليمة ، فجاء اسم الفاعل العامل ليدلّ على حدوث فعل إقامة الصلاة المشروعة في الإسلام لمن دخل في الدين الجديد.

## مُهَلِّك :

جاء اسم الفاعل "مُهَلِّك" مضافًا إلى الاسم الظاهر أربع مرّات ، وذلك

في قوله تعالى:

(١) د. أحمد ماهر البقري ، دراسات قرآنية في اللغة والنحو ، ٢٠٦  
(٢) انظر: السيوطي ، الإتقان ، ٢٦/١

- ١- ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٣١)
- ٢،٣- ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَلْتَمِسُ عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (القصص: ٥٩)
- ٤- ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (العنكبوت: ٣١)

واسم الفاعل "مهلك" في هذه المواضع الثلاثة يفيد زمن الحال والاستقبال ، لأن الإهلاك هنا عقاب للقرى يكون بعد إرسال الرسل وعصيان أهلها ، فالإهلاك عقاب في المستقبل بعد إقامة الحجة عليهم ، كما يدل عليه إخبار الملائكة إبراهيم عليه السلام بإهلاكهم قوم لوط في الزمن المستقبل. كما أن خبر "كان" لا يكون دالاً على الزمن الماضي بل يدل على زمن الحال أو الاستقبال ، مثل ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ (البقرة: ١٤٣) ومثل: ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُون ﴾ (النمل: ٣٢).

فالأصل أن يكون اسم الفاعل "مهلك" في صيغة التنوين العاملة عمل الفعل ، لدالاتها على الحال أو الاستقبال ، وليس في صيغة الإضافة الدالة على الزمن الماضي ، وإنما جاء العدول إلى الإضافة للتأكيد على إهلاك القرى بجعله كالمحقق الموجود.

ومسوّغ هذا التأكيد عن طريق الإضافة يظهر بمجيء معنى نفي إهلاك القرى بظلم في صيغة الفعل المضارع "يهلك" الدالة على الحال والاستقبال ، يقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ \* وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ (هود: ١١٧-١١٩).

وقد ذكر "الإسكافي" أنّ النفي بالفعل أبلغ ، لذلك جاء الفعل "يهلك" مع نفي الإهلاك بظلم من الله تعالى ، يقول الإسكافي عن الفعل "يهلك": (( خصّه الله تعالى بالمكان الذي لا يقع منه ذلك أبداً ، ولم يقع منه قط ، وهو أنه لم يكن فيما مضى يهلك القرى ظالماً لها مع صلاح أهلها ، ولا يفعله ، ولا يليق بعذله ، وهو ينتزّه عنه ، تعالى عن ذلك .

وأما قوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رَسُولًا يَلْتَلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (القصص: ٥٩) فإنه لم يكن فيه صريح ظلم ينسب إليه، ولم يكن ملفوظاً به، فيؤتى باللفظ الأبلغ في نفيه، كما كان في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ (هود: ١١٧))<sup>(١)</sup>. وتبعه "الكرماني" بقوله: (( لأنّ الله تعالى نفي الظلم عن نفسه بأبلغ لفظٍ يستعمل في النفي ... وما في "القصص" لم يكن صريح ظلم ، فاكتفى بذكر اسم الفاعل ، وهو أحد الأزمنة غير معين ، ثم نفاه ))<sup>(٢)</sup>.

والملاحظ أنّ "الإسكافي" و"الكرماني" لم يتحدثا عن آية سورة الأنعام التي جاء فيها اسم الفاعل "مهلك" مع لفظ "بظلم" ، وهو يناقض رأيهما. أمّا "ابن الزبير" فقد أفاد من دلالة الفعل "يهلك" على التجدد ، ولم يربط بين الفعل "يهلك" ولفظ "بظلم" ، فوافق ذلك ما جاء في آية الأنعام ، وقد نسب الظلم المذكور في آية سورة هود إلى بعض أهل القرى وليس إلى الله تعالى ، يقول ابن الزبير: (( آية هود تقدّمها قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ (هود: ١١٦) أي: فهلا كان منهم ذلك لما هلكوا ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (هود: ١١٧) أي ما كان ليفعل بهم ذلك، وإن وقع منهم ظلم، إذا كان فيهم مغير للظلم ، وناه عن الفساد ، ولكنهم كانوا كما أخبر

(١) الإسكافي ، درة التنزيل ، ١٢٧

(٢) الكرماني ، أسرار التكرار في القرآن ، ١١٠



الله تعالى عن المعتدين من بني إسرائيل في قوله تعالى عنهم:  
﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ (المائدة: ٧٩).

وجيء بالفعل في قوله: "ليهلك" إشارة إلى التكرّر بحسب ما يكون منهم ، فلو كان في كل أمة وقرن بعد قرن من ينهى عن الفساد والظلم لما أخذوا بذوي الظلم منهم ، وكان الله يدفع بعضهم عن بعض ، ولكن تكرر الفساد ، وعم كل قرن ، فتكرر عليهم الجزاء والأخذ ، فأشار الفعل إلى التكرّر ((<sup>١</sup>).

فابن الزبير يلتفت إلى أنّ نفي الإهلاك -هنا- نفي لإهلاك المصلحين مع وجود الظلم من غيرهم.

كما يلتفت إلى دلالة التجدد من الفعل "يهلك" ، فيجعله دالاً على تكرار الإهلاك كلما تكرر الفساد ، كما قال : "بحسب ما يكون منهم" ومعنى ذلك أنه ليس إهلاكاً عاماً للقرى ، ولكنه إهلاك متجدد لذوي الفساد والظلم منهم.

فالفعل المضارع الدالّ على زمن الحال أو الاستقبال جاء مع نفي إهلاك المصلحين في الحال أو الاستقبال ، فهي الصيغة الأصلية ، وجاء ليفيد تكرار الإهلاك كلما تكرر الفساد من الظالمين ، فدلّ على التجدد والانقطاع.

أمّا المواضع الثلاثة التي جاء فيها اسم الفاعل "مهلك" مضافاً فإنها جاءت مع معصية أهل القرى بعد إرسال الرسل إليهم ، بالإضافة تأكيد على استحقاق الظالمين الإهلاك، إذ عامل إهلاك القرى في المستقبل بعد إرسال الرسل معاملة المتحقق ، لأن أهل القرى ظالمون وليسوا بغافلين عن آيات الله ، فمسوّغ التأكيد عن طريق العدول إلى الإضافة أن أهل القرى ظالمين فوجب عليهم العقاب بالإهلاك بعد إقامة الحجة عليهم ، فهو إهلاك مترقب ولا بدّ من تحقّقه ، وهو إهلاك دائم ومستمر لقرى الظالمين.

(<sup>١</sup>) ابن الزبير ، ملك التأويل ، ٦٧١/٢-٦٧٢

بينما جاء الفعل المضارع: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ لأن السياق لا يتحدث عن استحقاق العذاب بعد إقامة الحجة وبعث الرسل ، فلا يريد تأكيد الإهلاك لوجوبه ، وإنما ينفي الإهلاك مع وجود الإصلاح ، فهو يدعو إلى النهي عن الفساد، فلم يؤكد الإهلاك وإنما جاء نفيه في الحال والاستقبال بصيغته الأصلية لعدم الحديث عن وجوب إهلاك القرى برفضهم رسل ربهم واستحقاقهم العذاب وهو إهلاك يتجدد بوجود المفسدين وينقطع بوجود المصلحين.

فصيغة الإضافة "مهلك القرى" جاءت في خطاب وعيد لرافضي رسالة ربهم ، لتدلّ على استحقاقهم العذاب إذا لم يرتدعوا عن كفرهم. وجاءت الصيغة الدالة على الحال والاستقبال "يهلك القرى" في خطاب حثّ لمن يعرفون الحق ولا يتناهون عن المنكر ، ليدعوهم إلى الإصلاح حتى يدفعوا عن قراهم الإهلاك.

فالتأكيد بالإضافة جاء مع الوعيد لمن وجب عليهم العذاب ، ليكون رادعاً لمن يدين بالكفر ، أما عدم تأكيد الإهلاك (عدم وجوب استحقاقه) أنسب في خطاب من يرى الفساد ولا يدين به ، حتى يكون ذلك دافعاً لمن يريد الإصلاح ، وأملاً في إحياء القرى من الفساد قبل الهلاك.

## ثامناً : العدول عن تنوين اسم الفاعل لداعي العقيدة :

كما يكون مسوِّغ العدول عن تنوين اسم الفاعل أن الحدث الفعلي المتجدد يتعلق بأمر من أمور العقيدة ينبغي فيه الثبوت والمداومة ، وهو مسوِّغ العدول في التراكيب الإضافية الآتية:

### تارك :

جاء اسم الفاعل "تارك" مضافاً مرتين ، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿ قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود: ٥٣)

٢- ﴿ فَالْتَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ \* إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ \* إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ \* وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ (الصافات: ٣٣-٣٦)

فالأول على لسان الكفار في الدنيا ، والثاني حكاية عنهم بعد جزائهم في الآخرة ، وتحاورهم في النار.

ونفي الكفار ترك آلهتهم جاء في زمن الحال والاستقبال (في الأصل) لأن الآيتين توضحان تعلق زمن الترك بدعوة التوحيد ، فقوله تعالى: ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك﴾ أي بعد قولك داعياً إلى التوحيد ، يقول الزمخشري: ((كأنه قيل: وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك))<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ يدل على أن الترك في زمن الحال بعد دعوة نبيهم للتوحيد.

فالإضافة -هنا- عدول عن صيغة عمل اسم الفاعل عمل الفعل الدالّ على الحال والاستقبال ، فالأصل: "ما نحن بتاركين آلهتنا عن قولك" (أنا

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٤١٠/٢

لتاركون آلهتنا لشاعر مجنون) ، والإضافة أفادت استمرار عناد الكفار ،  
والمبالغة في تمسكهم بعقيدة الشرك الموروثة.

فالتركيب الإضافي "تاركي آلهتنا" تأكيد على لسان قوم هود عليه  
السلام على نفي ترك آلهتهم ولو زمناً محدداً ، فهم مصررون على ما كانوا عليه  
قبل دعوة التوحيد ، ويدل على إصرارهم هذا ما جاءت به الآية من تأكيدهم  
على العناد ، وذلك من تعدد الجمل التي تفيد عنادهم: "ما جنننا ببينة" - "ما نحن  
بتاركي آلهتنا" - "ما نحن لك بمؤمنين" فجاءت صيغة الإضافة تأكيداً على  
استمرارهم على عقيدة الشرك.

وجاء التركيب الإضافي "لتاركوا آلهتنا" حكاية عن الكفار في الدنيا ،  
إذ يرفضون أن يتركوا آلهتهم إذا قيل لهم لا إله إلا الله ، ويقولون هذه الدعوة  
بالاستكبار والإنكار ، فقد نفوا أن يتركوا آلهتهم ولو زمناً تأكيداً منهم على  
الاستمرار في الكفر.

فإذا كان المراد من ردّ الكفار على أنبيائهم نفيم الإيمان حال دعوة  
الأنبياء لهم وبعد ذلك ، وأصل التركيب الإضافي التنوين ، فإن مجيئه في  
صيغة الإضافة تأكيد منهم على استمرارهم على عقيدة آبائهم الموروثة من  
الماضي ، ولعلمهم أن ترك آلهتهم واتباع دعوة نبيهم إنما يكون على الدوام.  
وجاء اسم الفاعل "تارك" منوئاً مرة واحدة ، وذلك في قوله تعالى:

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ (هود : ١٢).

فلم يحذف التنوين تخفيفاً ، وهو خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم  
معناه كما يقول الزمخشري: ((أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة  
ردهم له ، وتهاونهم عليه))<sup>(١)</sup> وهو يفيد النهي ، يقول الرازي: (( المراد منه  
الزجر... ويريد تأكيد الأمر ، فمعناه لا تترك))<sup>(٢)</sup>.

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٣٩٢/٢

(٢) الرازي ، التفسير الكبير ، ٢٠١/١٨

فالنهي في "لعلك تاركٌ بعض" جاء لينهاه عن فعل ذلك ولو زمنًا قليلاً، فهي كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٤) فجاء التثوين ليفيد معنى التجدد والانقطاع ، فهو تحذير للرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك شيئاً من الوحي ولو مرة واحدة في الحال أو الاستقبال.

فالتثوين جاء نهياً من الله تعالى أن يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ما قد يدفعه إليه ميله القلبي أو خوفه ، فهو نهى عن فعل لا يتعارض مع كونه بشراً ، وهو ما يشير إليه لفظ "لعلك" ولفظ "كدت" ليكون النهي عن فعل قد يقع على وجه التجدد والانقطاع. أما العدول إلى الإضافة كانت مع تأكيد الكفار على استمرارهم على أمر عقدي على وجه الدوام.

## رَادٌّ :

جاء اسم الفاعل "رادٌ" مضافاً إلى الاسم الظاهر مرة واحدة ، يقول تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ (النحل : ٧١) و "ما" النافية في "فما الذين فضلوا" تعمل عمل ليس، وهي تدل على أن النفي في زمن الحال (ما لم يقيد المعنى المنفي بما يفيد الزمن الماضي) يقول ابن عقيل: (( إعمالها كعمل "ليس" لشبهها بها في أنها لنفي الحال عند الإطلاق، فيرفعون بها الاسم وينصبون بها الخبر، نحو "ما زيد قائماً" قال تعالى: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ (يوسف: ٣١)).<sup>(١)</sup>

فالنفي في "فما الذين فضلوا برادي رزقهم" لنفي ردّ الرزق في زمن

(١) ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك، ٣٠٢/١

الحال بعد تفضيل بعض الناس على بعض في الرزق ، فالأصل في اسم الفعل "رادّي" العمل الفعلي الذي يفيد التجدد والانقطاع ، فكلمة رزقوا ردّوا رزقهم للفقراء ، فالأصل: رادين رزقهم ، لكنه عدل إلى الإضافة الدالة على الثبوت والاستمرار من الزمن الماضي، وذلك راجع إلى أن نفي رد الغنى رزقه للفقير مثال للمساواة بين الله تعالى والعبيد ، يقول ابن كثير: (( يبيّن تعالى للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه الله من الشركاء وهم يعترفون أنها عبيد له ... فقال تعالى منكرًا عليهم : أنتم لا ترضون أن تساووا عبيدكم فيما رزقناكم ، فكيف يرضى هو تعالى بمساواة عبيد له في الإلهية والتعظيم ))(١).

فإذا كان المعنى على نفي الفعل في زمن الحال فإن مجيئه في صيغة الإضافة تجعله مساواةً مستمرةً دائمةً ، وهو الأمر الذي لا يقبله الكفار ولا يرضونه في العلاقة بينهم وبين عبيدهم فأصبح المماثل لذلك والمبنى عليه أن الله لا يرضى لعبيده أن يساويهم به في الألوهية، بل الله المثل الأعلى.

فصيغة الإضافة تدلّ على أن ردّ الرزق سيكون على وجه المساواة الدائمة، وهو مرفوض من الكفار، فكيف بالمساواة في العبادة بين الله وشركائهم، وهي -العبادة- تقتضى أن تكون مساواةً مستمرةً من الأزل، بما يناسب مقام العبادة.

فداعي العدول عن التجدد والانقطاع في زمن الحال لردّ الرزق إلى الإضافة هو أن "ردّ الرزق" -هنا- مثال للمساواة في العبادة، وهي ما تستلزم دلالة الماضي المستمر.

## طارِدٌ:

جاء اسم الفاعل "طارِد" مرتين ، وذلك في قوله تعالى :

١- ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (هود : ٢٩)

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣٣٤/٤

٢- ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء : ١١٤)

وهما على لسان نبي الله نوح (عليه السلام) بعد وصف الكفار للمؤمنين بأنهم أراذل، يقول الزمخشري: ((إنما استردلوهم لا تضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا))<sup>(١)</sup>.

فقد طلب الكفار من نوح (عليه السلام) طرد المؤمنين ، فالأصل أن يردّ نوحٌ بالصيغة الدالة على الحال أو الاستقبال بالفعل المضارع: "لن أطرّد المؤمنين" ، أو بالتثنية: "لست بطاردٍ المؤمنين".

ويدلّ على ذلك قول الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾: (( وقرئ: ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ : التثنية على الأصل))<sup>(٢)</sup>.

فجاء المعنى في صيغة التركيب الإضافي "وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا" ليتقي نوح وقوع الطرد منه في الحال أو الاستقبال ، بطريق المبالغة ، بنفيه أن يقع ذلك منه على الدوام في الأزمنة كلها.

فنوح عليه السلام يريد التأكيد على نفي طرد المؤمنين في الحال أو الاستقبال، ببيان أنّ ذلك ليس من عمله أصلاً من الزمن الماضي المستمر، يقول الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾: (( يريد [نوح عليه السلام]: ليس من شأنى أن أتبع شهواتهم، وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح إيمانهم ؛ طمعاً في إيمانكم))<sup>(٣)</sup>.

كما أن طرد المؤمنين يجعل الدين على هوى الكافرين: أي هو طرد لدين الله الذي لا يُملك الحكم فيه للسادة ، فهو أمرٌ عقديّ جاء على وجه الثبوت والدوام ، لا التجدد والانقطاع ، فالكفار يرغبون في أن يكون الطرد دائماً ، والدين على هواهم.

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٣٧٠/٣

(٢) نفسه ، ٣٩٩/٢

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ٣٧١/٣

فنفى العمل الفعلي في الحال أو الاستقبال بصيغة نفيه في الماضي المستمر ؛ حتى يفيد أنّ المنفي ليس من عقيدة النافي في الماضي والحال والمستقبل ، مع أنّ الكفار يعلمون ماضيهم ويسألونه عن الحال والمستقبل.

### كاشف : • ممسك :

جاء اسم الفاعل "كاشف" مضافاً مرتين ، مرّة للضرّ في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ (الزمر : ٣٨).

يقول الزمخشري: ((فُرئ "كاشفاتُ ضره" و"ممسكاتُ رحمته" بالتنوين على الأصل ، وبالإضافة للتخفيف))<sup>(١)</sup>.

والمعبود من دون الله لا يملك هذه الصفات الإلهية التي تجعله يعلم ما يريد الله فيكشف الضرّ أو يمسك الرحمة على الدوام ، لذا جاء الحديث عن آلهتهم في صيغة الإضافة لأنّ التحدي لمن يُعبد من دون الله أن يعلم ما أَراده الله مسبقاً أولاً كما يوضحه قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ﴾ فالتحدي لهم أن يملكوا الكشف والإمسك على الدوام.

بينما جاء اسم الفاعل بلا إضافة ثلاث مرات ، يقول تعالى:

١- ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ (الأنعام: ١٧)

٢- ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ (يونس: ١٠٧)

٣- ﴿ أَرْقَتِ الْأَرْقَةَ \* لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ (النجم: ٥٧-٥٨)

والملاحظ أنّ لفظ "أرادني" لم يأت في هذه المرات الثلاثة ، وإنما جاء في آية الأنعام وآية يونس ما يفيد وقوع المسّ بالضرّ فعلاً واقعاً ﴿يمسك﴾ فوقوع الضرّ يحتاج إلى من يكشفه عملاً وأداءً فعلياً بعد وقوعه ، فجاء كشف

(١)الزمخشري ، الكشاف ، ، ٥٤/٤



الضر في الصيغة الدالة على العمل الفعلي، ولم تأت صيغة الإضافة الدالة على العلم السابق والقدرة المطلقة.

كذلك مع "أزفت" بصيغة الفعل الماضي ، فوقع أمر الله كحدث فعلي ماضي "أزفت" لا يستطيع أحد دفعه إلا بعمل فعلي ، فجاء صيغة "كاشفة" دالة عليه .

أما في مقام التحدي في الحديث عن الصفات الإلهية فإنه تطلب معاملة قدرة من يُعبد من دون الله معاملة الماضي المستمر. (وهي دلالة الإضافة) إمعاناً في التحدي لإظهار عجزها، والفرق بينها وبين صفات الله تعالى ، وهو مسوِّغ الإضافة في تركيب " ممسكات رحمته" الذي جاء مع تركيب " كاشفات ضره " ، ولم يأت اسم الفاعل "ممسك" مضافاً في غير هذا الموضع .

والمرة الثانية التي جاء فيها اسم الفاعل "كاشف" مضافاً هي في قوله تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ \*يَعْنَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ \* رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ \* أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ \* ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ \* إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ \* يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾ (الدخان : ١٠-١٦).

وجاء في سبب نزول هذه الآيات ما ذكره ابن كثير فيما روي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن (( قريشاً استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم ... فأصابهم الجهد ... فكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان ... فيمشي إليه أبو سفيان ونفر معه ، وناشده الله والرحم ، وواعده إن دعا لهم ، وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم ))<sup>(١)</sup>.

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١٦٦/٧

وعليه يفهم أنّ قوله ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا ﴾ للمستقبل ، فأصل التركيب الإضافي، كاشفون العذاب ، ومجيئها في صيغة الإضافة لمراعاة أن كشف العذاب من الأفعال التي اختصّ الله بها، ونفاها عن غيره ، فتأتي في صيغة الإضافة ؛ لأنها في حقه مستمرة أزلاً وأبداً ، وإن أريدَ بها الفعل في الزمن المستقبل ، فأرادة الله تعالى لكشف العذاب تجعله كالمحقق ، وهو ما يناسب التأكيد بـ "إِنَّا".

فالسباق القرآني كل "متكامل ، فاسم الفاعل "كاشف" جاء مضافاً مرتين: "كاشفاتُ ضرّه" "كاشفوا العذاب" عدولاً عن العمل الفعلي -وهو الأصل- مرّة لبيان عجز من يعبد المشركون المخالفون للرسول محمد صلى الله عليه وسلم من دون الله ، فهم -المعبودون من دون الله تعالى - لا يملكون هذه الصفة الإلهية (كشف الضرّ أزلاً وأبداً).

والمرّة الثانية "كاشفوا العذاب" لبيان من يملك هذه الصفة الإلهية ، والمعنيون بكشف العذاب عنهم هم المخالفون للرسول محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً ، فالله وحده هو القادر على كشف العذاب.

فمجيء اسم الفاعل "كاشف" مضافاً عدولاً عن الأصل لأنّ السياق يتحدث عن كونه صفة إلهية لا يملكها إلا الله تعالى على وجه المضي والاستمرار ، وإن جاء اسم الفاعل منسوباً لمن يُعبد من دون الله على وجه التحدّي لهم ، أو جاء للفعل في الزمن المستقبل.

**تاسعاً: العدول عن تنوين اسم الفاعل لأن حدوثه عوض عن استمراره وبقائه منذ**

### **الزمن الماضي :**

كما جاء العدول عن تنوين اسم الفاعل عندما يكون ما هو متجدد في الحال والاستقبال عوضاً عن أمر مستمر وثابت من الزمن الماضي ، فيبين العدول أهمية بقاء هذا الأمر الماضي ، وهو مسوغ العدول في هذا المبحث.

### **بالغ :**

جاء اسم الفاعل "بالغ" مضافاً إلى الاسم الظاهر مرتين ، فجاء في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ (المائدة : ٩٥).

يقول الزمخشري: ((ووصف "هدي" بـ "بالغ الكعبة" لأن إضافته غير حقيقية ، ومعنى بلوغه الكعبة أن يُذبح بالحرم)) (١) فالمراد بالكعبة: الحرم ، والعدول عن لفظ "الحرم" إلى لفظ "الكعبة" لداع يوضح سبب العدول إلى الإضافة.

فالكفارة -هنا- كفارة صيد الحرم حتى يظل الحرم آمناً ، أمناً لكل ما فيه، ويبقى بقاءً دائماً -بإذن الله- لا ينتهك من البشر ، مثل بقاء الكعبة من القدم آمنة ، وهي حرمة إلى يوم القيامة ، يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (البقرة : ١٢٦): ((وقد وردت أحاديث أخر تدلّ على أن الله تعالى حرم مكة قبل(\*) خلق السماوات والأرض كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة...)) (٢).

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٦٣/٢

(\*) لعل ابن كثير يقصد: يوم خلق السماوات والأرض.

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٠٧/١

وانتهاك هذه الحرمة القديمة والباقية يقتضى كفارة تحل محل الصيد  
الأمين ، فتكون الكفارة (الهدية) بذلك آمنة مستمرة في أمنها وبقائها كبقاء  
الكعبة.

لذا جاءت صيغة الإضافة التي تفيد الاستمرار إشارة إلى أن الهدية  
يؤول إلى أمن الحرم وهو آمن مستمر وثابت كالكعبة ، أو بالغ ما بلغته الكعبة  
من الحرمة واستحقاقها للأمن على الدوام.

فالدول عن لفظ "الحرم" إلى لفظ "الكعبة" في "هدياً بالغ الكعبة" ؛  
للدلالة على عظم هذه الكفارة (الهدية) لأنها تُنمّم أمن الحرم ، فجعلها واصلة  
(بالغة) إلى الكعبة أعظم ما في الحرم.

والدول عن التنوين إلى إضافة اسم الفاعل "بالغ" ليبيّن أن الهدية  
يوصف بما هو ثابت ومستمر في اتصاله بالكعبة ، لأن الهدية جزء من أمن  
الحرم الثابت والمستمر.

وجاء اسم الفاعل "بالغ" في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ  
مَخْرَجاً \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ  
بِالْعَمَلِ لَمُؤْتٍ ﴾ (الطلاق: ٢-٣).

والتركيب الإضافي -هنا- قراءة حفص ، فهو عدول عن التنوين ، يقول  
البنّا: ((والباقون بالتنوين والنصب على الأصل))<sup>(١)</sup> أي: "بالغ أمره".  
قال الزمخشري: (( أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه  
مطلوب ))<sup>(٢)</sup> وقال ابن كثير: (( أي منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريده  
ويشأؤه ))<sup>(٣)</sup>.

وسياق "بالغ أمره" يتحدث عن أحكام الطلاق ، ويأمر بمراعاة حدود  
الله في ذلك ، فنشترك مع "بالغ الكعبة" في أن النهي عن قتل الصيد إبقاءً للحياة  
والأمن داخل الحرم ، والطلاق مفارقة للنكاح الذي هو سبب الحياة ، وكما أن  
القتل إخراج للصيد عن دائرة الحرمة، جاء قوله تعالى بمثل ذلك: ﴿ لا

(١) البنّا ، إتحاف فضلاء البشر ، ٥٤٦

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ٤١٥/٤

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٩٥/٨

تُخْرَجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴿ (الطلاق: ١) ففيه تشبيه الأسرة بالحرم ، كما يقال: "حَرْمُ الرجل" ويراد به أسرته.

وإذا كان "بالغ الكعبة" إكمالاً لما نقص من حرمة الحرم على وجه الاستمرار ، فإن التركيب الإضافي "بالغ أمره" يدلّ على أن من يلتزم بحدود الله تعالى ويتوكل عليه يصل الله إلى حاجته ويكملها له ، فالإضافة تفيد علم الله الدائم بحاجات خلقه ، والتأكيد على إكمال الله تعالى لحاجات من يتوكل عليه على وجه التحقق والاستمرار في الإجابة ، كحَثِّ للاستمرار في تقوى الله ومخافته في أمر الطلاق.

أما قراءة التنوين "بالغ أمره" فتفيد إجابة الله تعالى لمن توكل عليه كلما اضطر المتوكل ودعا الله ، فهي على وجه التجدد.

فالعُدول عن التنوين الدالّ على التجدد إلى الإضافة الدالة على التحقق في الزمن الماضي والاستمرار ؛ مراعاةً لقدرة الله الدائمة السابقة على كل شيء، وتأكيداً على إجابة الله لمن توكل عليه فهي كالتحقق الموجود.

كما أن الإضافة تفيد إكمال الله المستمر لحاجات من يتقيه ويتوكل عليه، خاصةً في شأن الطلاق الذي حرصت الآيات على جعله حدّاً من حدود الله تعالى ، وغلّظت الأمر بالتقوى فيه ، لأنه يتعلق بحرمة الأسرة وبنينها.

فالآيات تحرص على استمرار الحياة داخل الأسرة وذلك يكون بتقوى الله والتوكل عليه الدائمين ، فإن مراعاة حدود الله تعالى إكمالاً دائماً لما يعتري الحياة الأسرية من نقص، يجعل جزاء مراعاة حدود الله إكمال الله الدائم لحاجات من يتوكل عليه ، كما أن الهدي -وهو عوض عن التعديّ على حدود الله- يكمل ما اعتري الحرم من نقص ، لتظلّ الحرمة على وجه الدوام ، وتظل بتقوى الله والتوكل عليه ومراعاة حدوده الحياة الأسرية في حرمة من الله تعالى. فداعي التأكيد على إجابة من يتوكل على الله تعالى ، أن التوكل على الله وتقواه -هنا- إكمال مستمر ودائم للحياة الأسرية فناسبها ثبوت الإضافة.



## خاتمة :

من تحليل التراكيب الإضافية السابقة التي عدل فيها اسم الفاعل المضاف عن التنوين الدالّ على زمن الحال أو الاستقبال ، إلى الإضافة الدالة على زمن الماضي المستمر ، يتبيّن أنّ الغرض من العدول أن يكتسب اسم الفاعل دلالة الإضافة ، فيجعل ما يقع في الحال والاستقبال على وجه التجدد والانقطاع كالمتحقق الموجود في الزمن الماضي ، فلم يكن العدول تخفيفاً من ثقل التنوين ، فالبحت هنا يصل إلى أن مقولة " الإضافة للتخفيف اللفظي من ثقل التنوين " خرافة تناقلتها الدراسات دون تثبت .

والسياق القرآني لم يأت بهذا العدول (الدالّ على التأكيد والاستمرار) على إطلاقه ، وإنما يأتي العدول إلى الإضافة عند وجود مسوغ يستدعي دلالة التأكيد والاستمرار التي في الإضافة ، وقد كان مسوغ العدول في التراكيب الإضافية السابقة كما يلي :

١- أن يتحدّث السياق عن موجودٍ تحقق في الزمن الماضي يشبه ما جاء به التركيب الإضافي ويقع في الحال والاستقبال ، وهو يجعل ما يقع في الحال والاستقبال كالمتحقق لوجود مثيل له متحقق .

وقد كان ذلك في تركيب "آتي الرحمن" إذ عومل الإتيان في المستقبل معاملة المتحقق الموجود تأكيداً على تحقّقه ، وسوّغ ذلك حديث السياق في سورة مريم عن المسيح عليه السلام الذي رفعه الله تعالى إليه روحاً وجسداً فتحقق الإتيان في شخص المسيح في الزمن الماضي ومع تركيب "جامع الناس" "وجامع المنافقين" تحدّث السياق عن اجتماع من في قلوبهم زيغ على النيل من القرآن الكريم ، وهو متحقّق في الدنيا ، فجاء الوعيد لهم في الآخرة كالمتحقق .

وكذلك مع الوعيد في "حمالة الحطب" إذ أنه وعيد لمن كانت تحمل الأذى في الدنيا، وجاء تركيب "محيي الموتى" مع حديث السياق عن تحقق إحياء الله تعالى للأرض في صورة إنزال المطر وإخراج النبات ، ولم يكن ذلك مع الفعل "يحي الموتى" وجاء الوعيد في "مقنعي رؤوسهم" و"ناكسوا رؤوسهم" في صيغة الإضافة مع أن وعيد يتحقق في الزمن المستقبل ، لوجود مثل له متحقق في الدنيا ، وهو تحريك الكفار رؤوسهم إعراضاً عن الإيمان، وجاء تركيب "ملاقوا ربهم" وتركيب "ملاقوا الله" للتحقق في الزمن المستقبل مع حديث السياق عن صور متحققة للقاء مع الله تعالى ، وهى الجهاد والصلاة ومجالسة رسول الله ، وجاء تركيب "منذرٌ من يخشاها" مع تحقق الإنذار لمن آمن بالساعة ، فهو إنذار في الحال والاستقبال بعد إنذار سابق للإيمان بالساعة، وجاء الوعيد بالقضاء على الشرك بفتح مكة في تركيب "موهن كيد الكافرين" بعد الحديث عن نصر بدر ، وهو ما سماه السياق فتحاً.

فقد سوّغ إضافة اسم الفاعل للتأكيد على وقوعه مع أن دلالاته تقع في الحال والاستقبال؛ وجود مثل له في الزمن الماضي.

٢- اقتراب تحقق ما هو في المستقبل لظهور بشارته وعلاماته.

فقد جاء تركيب "متّم نوره" في سورة الصف مع اقتراب فتح مكة ، بينما جاء الفعل "يتّم نوره" في سورة التوبة بعد الفتح مع الحديث عن تجدد الصراع مع أهل الكتاب لاالمشركين، وجاء تركيب "مخزي الكافرين" وتركيب "غير معجزى الله" مع إمهال المشركين مدّة بعد الفتح كي لا يحجوا بعدها ، فالتركيبيات مع قرب الانتهاء من المشركين، وجاء تركيب "ظالمي أنفسهم" مع السياق الدالّ على قرب انتهاء عمر الظالمين ، فوصفهم بالإضافة لأنه كالمحقق الماضي لهم.

كما يكون العدول إلى الإضافة بمسوّغ اقتراب تحقق ما هو في المستقبل لضرورة سرعة تحقّقه ، وذلك كما هو في تركيب "جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا" وتركيب "مخلف وعده" فهما مع حديث السياق عن



المكر برسلك الله ، فالإضافة على وجه التحقق لضرورة سرعة حماية الله تعالى لرسلكه .

٣- ضرورة وجود ما هو في الحال أو الاستقبال ؛ لأن الموجود المتحقق في الماضي يستوجب وجود ما هو في الحال أو الاستقبال .

ومنه ما يجب وجوده في الحال أو الاستقبال لحكمة قيام الخلق على الحق في الماضي ، فتركيب "وما كنت متخذ المضلين عضداً" ينفي اتخاذ المضلين أوعااً في الخلق والحكم في زمن حال خلقهم وفي المستقبل ، ومجيئه في صيغة الإضافة لأنه مبني على نفي اتخاذ الضلال في الخلق منذ الأزل .

وتركيب "مالك يوم الدين" وإن تحقق وجوده في المستقبل إلا أن صيغة الإضافة للدلالة على وجوب وجود يوم الدين ، وتصرف الله تعالى بالحساب والجزاء فيه ، لأنه وجوب تقتضيه حكمة الخلق في الماضي .

كما يكون وجوب تحقق ما هو في الحال والمستقبل لأن مبني على ما مضى ، فتركيب "هادي الذين آمنوا" جاءت لهداية المؤمنين إلى التأويل الحق لما تشابه من الدين ، وهي هداية في الحال والمستقبل مبنية على هداية الله لهم للإيمان بصحة هذا الدين وصدق نزوله من الله تعالى في الزمن الماضي .

وكذلك جاء نفي الهداية في "وما أنت بهادي العمي" مع أن المراد النفي في الحال والاستقبال ، لأن عدم تقبل اليهود وكفار قريش الهداية بعد عشر سنوات من الدعوة عناداً للحق في الماضي بُني عليه نفي هدايتهم في الحال والاستقبال في صيغة الإضافة .

٤- التأكيد على وقع ما هو في الحال والاستقبال بمعاملته معاملة الماضي المتحقق للردّ على رغبة الكفار في استعجاله وتحقيقه ، وطمأنة لرسلك الله تعالى .

وذلك في تركيب "ذائقة الموت" فالموت يقع في الحال والاستقبال ، وليس لوقوعه حاجة في التأكيد كي يأتي في صيغة الإضافة ، لكنه جاء في

صيغة الإضافة تأكيداً على تحققه عند حديث السياق عن رغبة الكفار في قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طمأنة للرسول صلى الله عليه وسلم بأن ما يريده الكفار من إنهاء لحياته قضاءً بأمر الله تعالى ، وفي ذلك ردّ عليهم.

وكذلك تركيب "مرسلوا الناقة" إذ أكد إرسال الناقة لأن إرسالها استشفاءً لصالح عليه السلام بعد إيذاء قومه ، فأرسالها للوعيد بهم ، وليس من باب إظهار المعجزات.

٥- ومن مسوِّغ العدول إلى الإضافة: حديث السورة عن تفاصيل تحدث في المستقبل بصيغة الحضور فيه.

وذلك كحديث السورة عن حوار أهل النار بصيغة الفعل المضارع ، ثم ينتقل السياق إلى وعيد الكفار بما هو في المستقبل بصيغة الإضافة ، مراعاة لحديث السورة عن هذا المستقبل بصيغة الحضور ، وهو مسوِّغ الإضافة في "ذائقوا العذاب" و "صال الجحيم".

٦- معاملة النهي عن فعل في الحال والاستقبال معاملة المنفي الذي لا يكون في الزمن الماضي ، وكأن المنهي عن فعله في الحال والاستقبال كالمنفي غير الموجود أصلاً ، للتغليظ في تحريمه.

فتركيب "ولا متخذات أخدان" وتركيب "ولا متخذي أخدان" للنهي عن اتخاذ صاحب أو صاحبة في النكاح ، جاء في صورة النفي لأنه لا ينبغي للمؤمن أو المؤمنة فعله. وكذلك تركيب "غير محلي الصيد وأنتم حرم" إذ يغلظ النهي عن تحليل المؤمن لما هو محرم خاصة إن كان في الحرم ؛ لأن التحليل تشريع لا ينبغي للمؤمن.

٧- استمرار مدة الفعل وإطالتها وثبوت الوصف منه وذلك كاستمرار مدة إزهاق الملائكة لأرواح الكفار تعذيباً لهم في تركيب "باسطو أيديهم" ، أو استمرار دعاء غير الله تعالى دون إجابة تردّ السائل في تركيب "باسط كفيه".

أو لاستمرار الجدل دون التوصل إلى نتيجة تنهيه ؛ لأنه جدال من غير

علم ولاهدى ولاكتاب منير في "ثاني عطفه" أو هو استمرار لمضاعفة عدد الحضرة النبوية تعظيمًا لمقام صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في "ثاني اثنين" أو استمرار لنفي سبق الليل على النهار لأنهما ليسا ذواتًا يصدر منهما الحركة ، ولا يُجمعان كالشمس والقمر ، ومراعاةً لسكون الليل المناسب للثبوت في الإضافة ، أو أنه استمرار يدلّ على علّة التشريع ، كإفادة القرب الشديد من المكان من دلالة الاستمرار في: "حاضري المسجد" و "حاضرة البحر" وهو وكذلك في "عابري سبيل" إذ بيّن الاستمرار ملازمة السبيل ملازمة ضرورية رخصت للجنب الصلاة لأنه مسافر بلا ماء ، أو دخول المسجد لعدم وجود سبيل غيره.

أو هو استمرار للوحي الوحيد في الأرض في "مصدق الذي" مع السياق الذي يتحدّث عن حفظ الإسلام وتشريع الصلاة ، بينما يأتي اسم الفاعل المنوّن "مصدق" مع السياق الذي يتحدّث عن تحريف الكتب السابقة دلالة على نسخها ونزول الوحي من جديد ، وهو استمرار للإهلاك في "مهلك القرى" لأنه إهلاك للظالمين بعد إقامة الحجة عليهم، فهو تأكيد للوعيد ، واستمرار للعذاب ، بينما جاء الفعل "يهلك القرى" مع الحث على مقاومة المصلحين للفساد في القرى.

وهو استمرار دال على التربص في ﴿ مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ﴾ فهي ريح وُجِدَتْ لعذابهم ولا تبرحهم ، وهو استمرار لتوالد الحياة من الموت ، فالموت يوجب تولّد الحياة في "مخرج الميت من الحي" فجاء بصيغة الإضافة ليبين أن التوالد يقوم على استمرار الموت ، فيستحيل أن يكون لله سبحانه وتعالى ولد لأنه حي لا يموت ، فالسياق ينفي اتخاذ الله تعالى للولد ، ويستدل باستمرار الموت لتوالد الحياة في المخلوقات.

٨- ويأتي العدول إلى الإضافة لإفادة دلالة الاستمرار بمسوّغ أن يكون ما هو في الحال والاستقبال أمرًا عقديًا يتطلب الاستمرار.

فتركيب "تاركوا ألهتنا" لنفي الكفار ترك ألهمهم على الدوام ، لأن المراد أن يستمروا على التوحيد وتركيب "رادّي رزقهم" لردّ الأغنياء رزقهم للفقراء على الدوام ، لأنه في باب التحدي فيمن يمتلك القدرة على كشف الضر أزلأ وأبدأ.

٩- أن يكون ما هو في الحال والمستقبل عوضاً عن استمرار وبقاء منذ الزمن الماضي.

فتركيب "بالغ الكعبة" جاء مع الجزاء لمن ينتهك حرمة الحرم بالصيد فيه ، ليكون الجزاء (الهدى) مماثلاً لما انتهك في الحرمة الماضية المستمرة.

وكذلك تركيب "بالغ أمره" الذي جاء في سورة الطلاق في سياق الحديث عن الطلاق، لبيّن أنّ التوكّل على الله تعالى والتزام حدوده يعوّض ما يقوّض بنيان الأسرة ، التي يفترض فيها الاستقرار والاستمرار.

فالتراكيب الإضافية السابقة تبين أنّ العدول إلى الإضافة أكسب اسم الفاعل العامل دلالة الماضي المستمر ، تأكيداً على تحقق الفعل واستمرار الوصف منه ؛ لوجود داعي العدول ومسوّغه في السياق.

فقد توصلّ البحث إلى أن العدول عن تنوين اسم الفاعل الدالّ على الحال أو الاستقبال إلى إضافته عدول عن الأصل له غرض دلاليّ ، وليس لمجرد علة التخفيف اللفظي ، تلك العلة التي كثر تناقلها الباحثين قديماً وحديثاً ، ولا يُقرّ البحث صحتها ؛ فالعدول عن تنوين اسم الفاعل إلى إضافته فن من فنون التأكيد ويأتي لمسوغاتٍ دلالية في السياق ، لم يتمعنّ الدرس البلاغي فيها بالتحليل والتنظير والاصطلاح ، بل وأسدل عليها الستار بتعبير : "حذف التنوين تخفيفاً - الإضافة للتخفيف اللفظي " وهو حقٌّ مجحفٌ ووهم موروث يناقض قانون اللغة المتقن وبلاغة القرآن المحكم التي تجعل لكل مبنئ معنى ولكل تركيب دلالة.

هذا والله الأمر وله الحمد من قبل ومن بعد ، والصلاة والسلام على خاتم رسله والآل والصحب .

بيان ما درس من التراكيب الإضافية التي لها متشابه في مواضع أخرى  
أو قراءة أخرى :

رقم الصفحة التي درس فيها	متشابه التركيب الإضافي	التركيب الإضافي
٣٨	« آتِ الرَّحْمَنَ » (قراءة)	« آتِي الرَّحْمَنَ » (مريم : ٩٣)
٧١	« مُتَّخِذًا الْمُضِلِّينَ » (قراءة)	« مُتَّخِذِ الْمُضِلِّينَ » (الكهف : ٥١)
٩٦	« بِأَسِطِّ يَدَيْ » (المائدة : ٢٨) « بِأَسِطِّ ذِرَاعَيْهِ » (الكهف : ١٨)	« بِأَسِطِّ كَفَيْهِ » (الرعد : ١٤)
١٣٢	« بِأَلْعِ أَمْرِهِ » (قراءة)	« بِأَلْعِ أَمْرِهِ » (الطلاق : ٣)
١٢٤	« تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ » (هود: ١٢)	« تَارِكُوا آلِهَتِنَا » (هود : ٥٣)
٥٦	« مَتَمَّ نُورَهُ » (قراءة) « يَتِمُّ نُورُهُ » (التوبة : ٣٢)	« مُتِمُّ نُورِهِ » (الصف : ٨)
٥٩	« جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » (البقرة : ٣٠)	« جَاعِلِ الدِّينِ » (آل عمران : ٥٥)
٣٩	« جَامِعِ النَّاسِ » (قراءة)	« جَامِعِ النَّاسِ » (آل عمران : ٩)
٤٢	« يُحْيِي الْمَوْتَى » (الشورى : ٩)	« مُحْيِي الْمَوْتَى » (الروم : ٥٠)
١٠٢	« يُخْرِجُ الْمَيِّتَ » (آل عمران : ٢٧)	« مُخْرِجُ الْمَيِّتِ » (الأنعام : ٩٥)
٦١	« لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ » (الحج : ٤٧)	« مُخْلِفٌ وَعْدِهِ » (إبراهيم : ٤٧)
٨١	« ذَانِقَةُ الْمَوْتِ » (قراءة)	« ذَانِقَةُ الْمَوْتِ » (آل عمران : ١٨٥)
٨٦	« ذَانِقُونَ الْعَذَابِ » (قراءة)	« ذَانِقُوا الْعَذَابِ » (الصافات : ٣٨)
٨٥	« مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدْيَةٍ » (النمل : ٣٢)	« مُرْسِلُوا النَّاقَةِ » (القمر : ٢٧)
١٠٩	« مُصَدِّقًا لِمَا » (البقرة : ٤١)	« مُصَدِّقُ الَّذِي » (الأنعام : ٩٢)
٨٩	« يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ » (الانفطار : ١٥)	« صَالِ الْجَحِيمِ » (الصافات : ١٦٣)
١٢٦	« طَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا » (قراءة)	« بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا » (هود : ٢٩)
٦٦	« ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ » (الكهف : ٣٥)	« ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ » (الأنعام : ٩٧)

٦٩	﴿مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (هود : ١٩)	﴿مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ (التوبة : ٢)
١١٧	﴿الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ (النساء : ١٦٢)	﴿الْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ (الحج : ٣٥)
١٢٨	﴿كَاشِفَاتِ ضُرِّهِ﴾ (قراءة)	﴿كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ (الزمر : ٣٨)
٤٩	﴿مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ (الحاقة : ٢٠)	﴿مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ (البقرة : ٤٦)
١٢٨	﴿مَمْسِكَاتٍ رَحْمَتِهِ﴾ (قراءة)	﴿مَمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ (الزمر : ٣٨)
٤٩	﴿مُنذِرٌ مِّنْ﴾ (قراءة)	﴿مُنذِرٌ مِّنْ﴾ (النازعات : ٤٥)
٥٢	﴿نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ (الأنبياء : ٦٥)	﴿نُكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ (السجدة : ٢٢)
٧٥	﴿هَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (قراءة)	﴿هَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج : ٥٢)
٧٨	﴿هَادِ الْعَمِيِّ﴾ (قراءة)	﴿هَادِي الْعَمِيِّ﴾ (النمل : ٨١)
١١٩	﴿لِيُهْلِكَ الْقُرَى﴾ (هود : ١١٧)	﴿مُهْلِكِ الْقُرَى﴾ (الأنعام : ١٣١)
٥٤	﴿مَوْهِنٌ كَيْدٍ﴾ (قراءة)	﴿مَوْهِنُ كَيْدٍ﴾ (الأنفال : ١٨)

## ثبت المصادر والمراجع

- ١ - ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم (٦٣٧هـ) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق / كامل محمد محمد عويضة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- ٢ - د . أحمد ماهر البقرى : دراسات قرآنية في اللغة والنحو - الكلمة والعدد والمجرورات - دار المعارف ، القاهرة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٣- د . أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- ٤ - الإسكافي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ( ٤٢٠ هـ ) : درة التنزيل وغرّة التأويل ، برواية ابن أبي الفرج الاردستاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .
- ٥- الألويسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود ( ١٢٧٠ هـ ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د . ت .
- ٦ - البنا ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغنى الدمياطي ( ١١١٧ هـ ) : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨ م .
- ٧ - د. تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٨ - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ( ٢٢٥ هـ ) : الحيوان ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الثانية .
- ٩ - الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ( ٤٧١ هـ ) :

- أسرار البلاغة ، تحقيق / محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- دلائل الإعجاز ، تحقيق / محمود محمد شاكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ١٠ - الرازي ، محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر ( ٦٠٤ هـ ) : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- ١١ - ابن الزبير ، أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي ( ٧٠٨ هـ ) : ملك التأويل القاطع بنوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل ، تحقيق/ د . سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ١٢ - الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (٥٣٨ هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، مكتبة مصر ، القاهرة، د . ت .
- المفصل في علم اللغة ، تحقيق / د . محمد عز الدين السعدي ، دار إحياء العلوم ، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- ١٣ - أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ( ٩٨٢ هـ ) : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ .
- ١٤ - السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ( ٥٨١ هـ ) : نتائج الفكر في النحو ، تحقيق / عادل أحمد عبد الموجود ، على محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ١٥ - سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ( ١٨٠ هـ ) : الكتاب ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د . ت .



- ١٦ - السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ( ٩١١ هـ ) : الإتيان في علوم القرآن ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، د . ت .
- ١٧- الشريف الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ( ٨١٦ هـ ) : التعريفات ، تحقيق / إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى .
- ١٨- عزّ الدين بن عبد السلام ( ٦٦٠ هـ ) : الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، المطبعة العامرة ، القاهرة ، ١٣١٣ هـ .
- ١٩ - ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله ( ٧٦٩ هـ ) : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٢٠ - ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ( ٧٧٤ هـ ) : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق/ محمد ناصر الألباني ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .
- ٢١ - الكرمانى ، محمود بن حمزة بن نصر ( ٥٠٠ هـ ) : أسرار التكرار في القرآن ( البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ) ، تحقيق / عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام ، القاهرة ، د . ت .
- ٢٢ - المباركفوري ، صَفِيّ الرحمن : الرحيق المختوم ، دار السلام ، الرياض، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٢٣- محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- ٢٤- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ( ٧١١ هـ ) : لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، طبعة بولاق ، د . ت .

- ٢٥- النسفي ، عبد الله بن أحمد بن محمود ( ٧١٠ ) : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق/ إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم ، لبنان ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٩ م .
- ٢٦- ابن هشام ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري ( ٧٦١ هـ ) :
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، لبنان ، د . ت .
- قطر الندي وبل الصدى ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، لبنان، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٩	تنبيه
٢٥	المقدمة
٣٠	المدخل التنظيري
٣٨	<b>التحليل</b>
٣٨	أولاً : العدول عن تنوين اسم الفاعل لتحقق مثيله في الزمن الماضي:
٣٨	• ( آتي )
٣٩	• جامع
٤١	• حمالة
٤٢	• محيي
٤٣	• مقنع
٤٨	• ( ملاقي )
٤٩	• منذر
٥٢	• ناكس
٥٤	• موهين
٥٦	ثانياً : العدول عن تنوين اسم الفاعل لاقتراب وقوع الحدث :
٥٦	• متمّ
٥٨	• جاعل
٦٠	• مخزي
٦١	• مخلف
٦٥	• ظالم

الصفحة	الموضوع
٦٧	• معجز
٧١	ثالثاً: العدول عن تنوين اسم الفاعل لضرورة وجود الحدث أو ترتيبه على ما مضى :
٧١	• متّخذ
٧٣	• مالك
٧٥	• ( هادي )
٨١	رابعاً : العدول عن تنوين اسم الفاعل تأكيداً على وقوعه للردّ على الكفار وطمأنة الرسل :
٨١	• ذائق
٨٣	• مرسل
٨٦	خامساً : العدول عن تنوين اسم الفاعل لحديث السورة عن تفصيل لما هو في المستقبل بصيغة الحضور :
٨٦	• ذائق
٨٨	• (صالي)
٩٠	سادساً:العدول عن تنوين اسم الفاعل لمعاملة النهى معاملة النفى:
٩٠	• متّخذ
٩٤	• مُحلّ
٩٦	سابعاً: العدول عن تنوين اسم الفاعل لاستمرار مدّة الفعل وإطالته أو ثبوت الوصف منه :
٩٦	• باسط
٩٨	• ( ثاني )
١٠٠	• حاضر
١٠٢	• مخرج
١٠٦	• سابق
١٠٨	• مصدّق

الصفحة	الموضوع
١١٢	• عابر
١١٤	• مستقبل
١١٦	• مقيم
١١٨	• مُهلك
١٢٣	ثامنًا: العدول عن تنوين اسم الفاعل لداعي العقيدة :
١٢٣	• تارك
١٢٥	• رادّ
١٢٦	• طارد
١٢٨	• كاشف
١٢٨	• ممسك
١٣١	تاسعًا : العدول عن تنوين اسم الفاعل لأن حدوثه عوض عن استمراره وبقائه منذ الزمن الماضي :
١٣١	• بالغ
١٣٥	خاتمة
١٤١	بيان التراكيب الإضافية التي لها متشابه
١٤٣	ثبت المصادر والمراجع